أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير
أ. أيّوب شهوان

اسرة التحرير
الأرشمندريت نيقولا انتيبا
أ. أسعد جوهر
أ. موسى الحاج
السيّدة ماري عطاالله خليفة
أ. جورج خوام
الأخت باسمة خوري
أ. نعمة الله الخوري
أ. لويس خوند
الأخت ماري-لويز شهوان
د. منى عبيد
أ. جان عزام
أ. انطوان عوكر
أ. يوسف فخري
أ. بولس الفغالي
الخوري انطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
أ. ريمون الهاشم

في هذا العدد

الافتتاحيّة: نحو سنة اليوبيل العظيم، سنة المحبّة ورضى الرب ـــ رئيس التحرير ٢
الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين: مَن قرأها «لن يمكنه أن يرفس المهماز»! ـ أ. أيّوب شهوان ٤
١ كورنتس: وراء كتابة الرسالة وضع الجماعة ـــ أ. أيّوب شهوان ٦
الاجتماع الأفخرستي (١ كو ١١: ١٧-٣٤) ـــ أ. اغوسطين مهنّا ٩
المسيح القائم من الموت (١ كو ١٥: ١-٥٨) ـــ الخوري أنطوان مخائيل ١٥
بين الزواج والبتوليّة (١ كو ٧: ١-٤٠) ـــ الخوري بولس الفغالي ١٩
المرأة والرجل أمام الربّ (١ كو ١١: ٢-١٦) ـــ ماري عطاالله خليفة ٢٥
نشيد المحبّة (١ كو ١٣) ـــ أ. أيّوب شهوان ٢٩
عندما يتعارض الحقّ والواجب في خدمة المسيح (١ كو ٩: ١-٢٧) ـ القس عيسى دياب ٤١
وجه بولس في كورنتس ١ (١ كو ١: ١-٩) ـــ الشماس جورج عنتابي ٤٥
«المشيب زهو المسنّين» (أمثال ٢٠/٢٩) ـــ المطران بطرس مراياتي ٤٩

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس - الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه - لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحيّة

نركز افتتاحية هذا العدد من مجلة بيبليا، على موضوع المحبة، حيث أنّ الرسالة الأولى إلى الكورنثيين تختزن واحدةً من أجمل الصفحات التي دوّنتها يد إنسان، عنيتُ به نشيد المحبة في ١ كو ١٣.

كثيراً ما نتداول بموضوع المحبة، فنتحدث عنها بإسهاب، جاعلين منها، وعن حق، الموضوعَ الأساسي لتأملاتنا، وصلواتنا، وتمنياتنا، ومواعظنا، وإرشاداتنا، وكتاباتنا، وهذا أمر حسن، كون المحبة العنصرَ الأساسيَّ والتكوينيَّ في العلاقة بين الله والانسان، وبين الواحد منا والآخر. لكن، عندما نتبيّن أن وقع الكلمة ومردودَها غالباً ما يكونَا محدودَين عند معظمنا، أو حتى معدومَين عند كثيرين، وفاعلة ومثمرة فقط عند القلّة، نتساءل عن السبب، فإذا وجدناه فهمنا وبطل العجب، علماً أن هذا لا يستتبع بالضرورة حلاً للمسألة المطروحة.

نحو سنة اليوبيل العظيم
سنة المحبّة ويوم الرب

فهل الالتزام المتدنّي بالتنفيذ وبالعيش هو في أساس عدم الإتيان بالثمار المرجوة وبالغلال الوافرة التي تحلو للرب؟

هل إن عدم الإدراك لمفهوم كلمة «محبة» هو علّة العلل، وبالتالي تَشيلُنا معالجتُه من هوّة الجهل، وتعيدنا أبناء للمعرفة التي بدونها يبقى الإيمان كلمة هباءً، يذهب مدلولها مع تواري صداها؟

هل إن رغبتَنا الصادقة، ونوايانا الحسنة، وإراداتَنا الصالحة، تتعرض لِمَدّ مَعميَّاتِ العالم، فتقبض على خناق اندفاعنا، وتلطم موجاتِ حماسنا، وتدكّ حصون قراراتنا، فإذا بالحياة مقهورة أمام العدم، وهذا أقصى التعارض مع ما أراده الله عندما أوجد وخلق، لأنه سيد الوجود والحياة، لا الخواء والخلاء؟

وأخيراً لا آخراً، هل نحن، لا سمح الله، من عداد أولئك «الكثيرين الذين تجفّ محبّتهم»؟!

إن أسمى أمنيات الرب يسوع وآخرَها، هي أن نحب الآب السماوي، ونحبه هو، وبعضنا بعضاً، كما هو أحبنا، وبالتالي أن نعطي الحياة جُلَّ عنايتنا واهتمامنا، لأن الحبّ هو نبع الحياة، ونقيضَه تصحُّرٌ وموت. فهل نستقبل سنةَ الألفَين بفعل توبة، نستغفر به من الله المحبة الذي في السماء، والذي أقمنا آلهةً بديلاً عنه على الأرض،

لنشهد معاً

ونطلب المسامحة على عدم فسح المجال للروح القدس، لينمّي عندنا المعرفةَ، والفهمَ، والحكمةَ التي بالطبع ليست حكمةَ هذا الدهر، ويضرمَ في قلوبنا التآخي، والوئام، والمحبةَ التي هي أعظم الفضائل وأسماها؟ إن إعلاء بنيان المعرفة هو الضمانة الحقة والأمتن للمحبة، ومَن يصلي، ويناجي، ويتأمل، لا بدّ وأن يصبح من أحباء المعرفة ومن الهائمين بها، وبالتالي من مجسّدي المحبة في كل توجهاتها واتجاهاتها.

قال الربُّ يسوع: «وصية جديدة أعطيكم: أحبُّوا بعضكم بعضاً؛ بهذا يعرف الناس جميعاً أنكم تلاميذي» (١٣: ٣٤-٣٥). ليست الوصية جديدة ؛ فالكتبة كانوا يعلّمون قبل ذلك، استناداً إلى أح ١٩: ١٨، واجبَ «محبة الانسان قريبه كنفسه» (رج لو ١٠: ٢٦). كما نقرأ في «وصية جاد»، وهو من النصوص اليهودية المنحولة، ما يلي: «أحبّوا كلّ واحدٍ أخاه، وانزعوا البغض من قلوبكم. أحبّوا بعضكم بعضاً بالفعل، وبالقول، وبالمشاعر» (٦: ١). أمّا «الجديد»، بالمقارنة مع ما تقدّم، فهو حب يسوع لخاصته حتّى بذل الذات، يسوع ينبوع هذا الحب المتبادل وقاعدته، الحب الذي به يوصي تلاميذه.

يركز يو ١٣: ٣٥ على المحبة المتبادلة كعلامة فارقة للتلاميذ الحقيقيين. ينبغي أن يكون عيش المحبة الأخوية المؤسسة على محبة المسيح، شهادة للذين هم في الخارج. لقد ذهب متّى ولوقا بعيداً في طريقة نقلهم لهذه الوصية الانجيلية، إذ تكلما على «محبة الأعداء»، ولكن دون انتظار المبادلة (رج متّى ٥: ٤٤؛ لو ٦: ٢٧)، حيث يُعَبَّر بطريقة أفضل أيضاً عن «الجِدَّة» غير العادية والجذرية لرسالة يسوع.

أما تعليم يسوع الذي يقول فيه : «من يحبني يحبه أبي» (١٤: ٢١)، فهو في تواصل جوهري مع محبة الواحد للآخر، ومحبة التلاميذ له؛ ولا يمكن الكلام على الواحدة دون الأخرى، وإلاّ كان في الأمر «كذبا»، كما يقول يوحنا صراحة.

ينقل لنا الانجيلي يوحنا قولاً وجيزاً ليسوع، ولكنه واسعُ المدى، هو التالي: «إن تحبوني تحفظوا وصاياي» (١٤: ١٥). ثم يواصل يسوع فيقول: «ومن يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي». ويضيف: «مَن أحبني حفظ كلمتي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، ولديه نتخذ منزلا» (١٤: ٢٣). لم يعد يسوع وحده الذي «يأتي»، بل إنه يبشر بمجيء الآب بالذات في الوقت عينه، كي يزور مَن يحبُّه ويقيم عنده. لم يعد يوحي «مسكن» الآب بمكان بعيد، فلا ينبغي بالتالي البحث عنه «في السماء»، بل في حميمية المؤمن بالذات. الآب هو الذي، بمبادرة مُحِبَّةٍ، يقوم بحركة تنازلية ليأتي مع ابنه نحونا.

فبأيّة مبادرة نبادل الربَّ في سنة اليوبيل العظيم، سنة الألفَين؟ هل هناك أعظم من حركة ارتقاء نبتغيها، وهو يُنعشها ويفعّلها ويُنجحها، «لكي نكون في ما هو للآب» ؟

للمحبة!

لن يكون لنا غير المحبة طريق حياة، وقد صارت بيسوع جسداً، قبل ألْفَي سنة، وهي أعظم الفضائل والوسائل، كما علمناها القديس بولس في ١ كو ١٣ خاصة، وفي أماكن أخرى من كتاباته عامة.

لتكن سنة اليوبيل العظيم سنة رضى للرب، سنة الحبِّ الأعظم، لندشّنَ معاً زمنَ خلاصٍ متجدّدٍ بالمسيح يسوع !

أ. أيّوب شهوان

رئيس التحرير

الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين: مَن قرأها «لن يمكنه أن يرفس المهماز»!

للرسالة الأولى إلى الكورنثيّين أهداف ثلاثة:

١ – تذكير الجماعة كلّها بأهميّة المسيح الذي مات ثمّ قام.

٢ – الإجابة على أسئلة بشأن حياة المسيح في العالم.

٣ – معالجة مسائل تتعلّق بالجماعة المسيحيّة.

تشكّل الرسالتان الأولى والثانية إلى الكورنثيّين، اللّتان حرّرهما بولس، الأولى من أفسس سنة ٥٧، والثانية من مقدونية في السنة عينها، مَعينًا ثمينًا للتعرّف إلى حياة الكنيسة الأولى، يُضاف إلى ما تُزوّدنا به الأناجيل وكتاب أعمال الرسل من معلومات. تفيدنا الأولى عن كيفيّة زرع البشرى في تلك المدينة الوثنيّة العظيمة، وعمّا فيها من عقبات وعثرات. وتخبرنا الثانية عن بولس «الإناء المختار» الذي قام بهذه المهمّة الخلاصيّة الفريدة وما لاقاه من آلام وصعاب وصدمات.

أنشأ بولس كنيسة كورنتس من وثنيّين «اجتذبهم» اللّه، كانوا من «البسطاء» ومن الطبقة التي هي كَلا شيء (١:٢٦–٢٩؛ ٨:٧؛ ١٠:١٤ و٢٠؛ ١٢:٢)، لكن «بهم يخزي اللّه حكمة الحكماء». لكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك مؤمنون من أصل يهودي، لا بل على العكس، وهذا ما يؤكده ما ورد في أع ١٨:٨؛ ١كو ١:٢٢–٢٤؛ ١٠:٣٢؛ ١٢:١٣؛ الخ.

لا يدعو إلى العجب إطلاقاً أن يستمرّ فريق من المؤمنين الوثنيّي الأصل على بعض عاداتهم التي اعتمدوها طريقة عيش، أبًا عن جدّ، وأسبغوا عليها وشاح الرهبة والإجلال، فكان، بالتالي، من العسير جدًّا عليهم التّخلّي عنها، وكان هكذا «الإشراك» أو الموقف التوفيقي أمرًا طبيعيًّا ومقبولاً عندهم، ولكن سبب شكّ وعثار للذين «تركوا كلّ شيء وتبعوا المسيح»، وصاروا متأصّلين في الإيمان .

إن بولس «الذي وَلَد المؤمنين بالمسيح» والذي «يتمخّض فيهم حتّى يتصَوّر المسيح فيهم»، هو أبهى صورة عن الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن خرافه، فلا يدع الذئب الخاطف يَمسّ أحدًا بأذى. فلقد وَصَلته أنباء مقلقة من كنيسة كورنتس، وطُرحت عليه أسئلةٌ عَجزَ مؤمنو تلك الكنيسة عن إيجاد حلّ لها، فكانت رسالته البلسمَ الشّافي والعطر المُطيّب للخواطر والنفوس.

تضجّ كلمات بولس بمحبّة ولا أعمق، وعاطفة ولا أسمى، والتزام ولا أصلب، ووضوح ولا أقوى. بها قرّع بحزم تحزّبَ المؤمنين، والشقاقَ في ما بينهم (١:١٠–٤:٢١)، وبها ثار على فجور بعضهم (٥:١–١٣؛ ٦:١٢–٢٠)، ورفض المقاضاة بين الإخوة لدى غير المؤمنين (٦:١–١١)؛ بها أجاب على أسئلة متنوّعة ذات طابع اجتماعي في شأن المتزوّجين والمتبتّلين والعبيد والعازبين والخاطبين والمترمّلين (٧)، وطقسي في شأن ذبائح الأوثان (٨:١–١١:١)، وفي شأن التقاليد في الاجتماع اللّيتورجي (١١:٢–١٤:٤)؛ بها دوّن أبهى لوحة عقائديّة عن قيامة المسيح وقيامة المؤمنين (١٥)، ليُنهي بالدعوة إلى جمع التبرّعات لكنيسة أورشليم (١٦:١–٤)، وبإطلاعهم على خطة سفره إلى كورنتس (١٦: ٥–١٢)، وبتوصيات وتحيّات أخيرة (١٦:١٣–٢٤).

يتبيّن لقارئ الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين أن نور المسيح يسطع في كلّ أرجائها. إنّه المسيح المُشَخصَن الذي بهر بولس بنوره على طريق دمشق، وتغلغل في حنايا قلبه بصوته المستجوب له عن سبب اضطهاده له، والذي به وله يعيش رسول الأمم، فنلقاه معه، لا بل يلقانا هو، في كلّ مفترق من مفارق الرسالة: ملقيًا في أرض كلّ منّا سيفًا فاصلاً، وحربًا تقلب رأسًا على عقب رؤانا البشريّة وحكمتنا التي من هذا العالم، وتفكيرنا المحدود، وقناعاتنا المبنيّة على الرمل.

هو المسيح، مَن كان شاول يطارده، والذي تجلّى أمام ناظرَي مضطَهِدِه الساقط أرضًا، والفاقدِ البصر، والذي لن يدع مختارَه «يرفس بعد الآن المهماز»، ولا الذين من بعده اجتذبهم الآب إليه !

أ. أيّوب شهوان

رج **العهد الجديد**، جمعيّة الكتاب المقدّس
في الشرق الأدنى، ص ١٥.

منظر عام لسوق كورنتس، كما يُرى من الشرق، وتبدو منصّة الخطابة التي وقف أمامها بولس مخاطباً غاليون الحاكم الذي تولّى الحكم هناك من العام ٥١ حتّى ٥٣ يظهر إلى أقصى اليمين هيكل الإله أپولون

١ كورنتس :
وراء كتابة الرسالة وضع الجماعة

كانت مدينة كورنتس في القديم مدينة ناشطة، ومرفأ كبيرًا، تَعدّ ما يقارب ٠٠٠، ٦٠٠ نسمة، ثُلثَاهُم كانوا من العبيد. فلقد جذب ازدهار المدينة الآلاف من الباحثين عن مصدر عيش، الأمر الذي أدّى إلى تنوّع في الانتماء الدّيني، وبالتالي إلى فسيفساء من العبادات والممارسات التقويّة العديدة. أضف إلى ذلك أن ضياع الهويّة وفقدان المعرفة المتبادلة، ومن ثمّ تكاثر الجماعات النكرة، أدّى إلى التسامح الخُلُقي مع الذات، وإلى سيطرة اللاأخلاقيّة بشكل فاضح.

وصل بولس إلى كورنتس سنة ٥١، وباشر كالمعتاد ممارسة مهنته كصانع خيام، ليؤمّن أَوده، فلا يكون عالة على أحد، ولا يعطّل أحدٌ فخرَه. شيئًا فشيئًا، وبمجهودات لا تحصى، أسّس جماعة جُلُّها من البسطاء والفقراء، قَبِلَتْ المعتقدَ المسيحيَّ الجديدَ بشيءٍ من الحماس، ولكن دون أن تتحرّر من الذهنيّة الوثنيّة وممارساتها وعاداتها.

في العام ٥٦، كان بولس في آسيا الصغرى حين تلقّى أنباءً مقلقة من كورنتس، سببها انقسامُ المؤمنين هناك إلى شيع متناحرة ومتنافسة، ووجودُ نوع من الفَوَران ذات طبيعة تدعو إلى الرّيبة. بالإضافة إلى ذلك، طرح على بولس مراسلوه عددًا من الأسئلة العمليّة، الخُلُقيّة أو الطقسيّة؛ على هذه يجيب الرسول منطلقاً من المعضلات الحسّيّة، لكنّه يعود في المناسبة إلى المبادئ الأساسيّة، فيصحّح المغالاة، ويقوّم الاعوجاج، ويسلّط الضوء على النظرات السطحيّة كي يبرز بطلانها.

فهناك عضو من كنيسة كورنتس يعيش في حالة فجور (١ كو ٥). يستغلّ بولس المناسبة ليعالج معضلة أشمل، موضوعها العلاقة مع العالم الوثني، من منظار آلام المسيح. كذلك قادت بولسَ أسئلةٌ حول الجنس إلى التفكير بمعنى الجسد وبالحريّة المسيحيّة. وفيما هو يعالج معضلة الزواج (١ كو ٦-٧)، يضع فاصلاً بينه وبين من يعيبون الجنس. المهمّ هو المعنى السامي الذي نُضفيه على هذا التعبير. يتطرّق بولس في ١ كو ٨ إلى مسألة أكل اللّحم الذي كان يُقرَّبُ للأصنام، فيعلّم المؤمن حسن استعمال الحريّة المسيحيّة، ويبيّن أنّ قاعدة السلوك ينبغي أن تنطلق من حمل همّ الآخرين ومحبّتهم.

وفي شأن عقد الاجتماعات الطقسيّة (١ كو ١١)، يعطي الرسول حلاً لبعض المعضلات الصغيرة، مرتكزًا على تقاليد العصر. لكنّه يدين طريقة الاحتفال بالعشاء السرّي المُشكِّكة، إذ يحصل في الولائم الأخويّة التي ترافق هذا الأخير، أنّ الأنانيّة والجشع يترسّخان في الممارسة. على هذه الأمور، يقوم بولس بردّة الفعل المناسبة. وفي هذا الإطار، هو يذكر أقدم ليتورجيّة لتأسيس الأفخارستيّا، تاركًا لنا بذلك وثيقة ثمينة حول هذا الموضوع.

وبسبب قلق الرسول من الفوضى التي سبّبها مسيحيّون يقولون بأنّ الروح يحرّكهم، فهو يُفسّر ماهيّة الجماعة المسيحيّة، ويؤكد أنها جسد المسيح والمؤتمنة على مختلف مواهب الروح القدس التي أعظمها المحبّة (١ كو ١٣).

ثمّ يعالج معضلة القيامة، التي يرفضها عفويّاً اليونانيون، المعروف عنهم احتقارهم للجسد. يشدّد بولس على أنّ قيامة يسوع هي في قلب البشارة المسيحيّة ومرتكزها.

إذا كان صحيحًا أنّ بعض المعضلات المعالجة في هذه الرسالة الواقعيّة جدًّا، قد تبدو اليوم بعيدة جدًّا، فـ «الذي يبقى الآن» هو كيفيّة تعامل بولس مع المواضيع المطروحة، إذ يعود دائمًا إلى مبادئ الإيمان الأساسيّة، يقرّع، ويوبّخ، ويحاجج، ويعظ، ويصحّح، دون أن تغيب الرحمة والمحبة عن الناظرَين. لقد صار هو ذاته دعوة، قلّ نظيرُها، إلى العمل الكنسي والأخوي، الذي به يبانُ طيفُ يسوع، بذات الروح الذي كان يحرّك رسول الأمم، إذا ما مسّ الكنيسة أو أحد أبنائها ضلال أو شطَطٌ أو انحراف.

رئيس التحرير

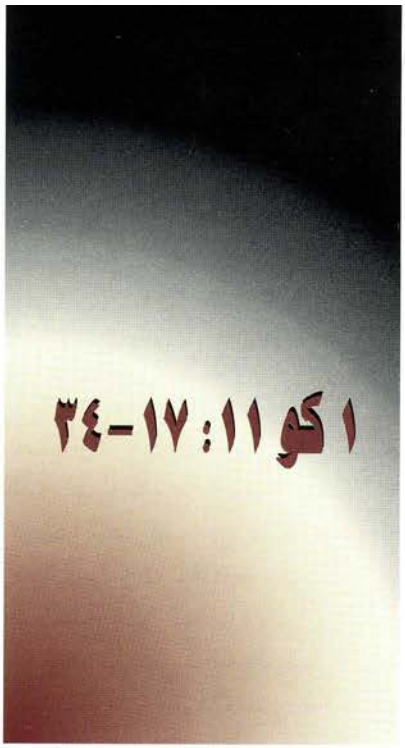

١ كو ١١: ١٧-٣٤

الاجتماع الأفخرستي

أ. اغوسطين مهنّا

مقدّمة

في بداية الفصل الحادي عشر من الأولى إلى الكورنثيّين، يَمدَحُ الرسول بولس مؤمِني كورنتس بقوله: «إنّي لأمدَحُكم لأنّكم في كلّ شيء تذكرونني، وتحتفظون بالتقاليد كما سلّمتها إليكم» (١١: ٢). لكنّه، وبعد أن رتّب مشكلة تتعلّق بوضع النساء داخل الجماعة (١١: ٣-١٦)، يُعبّر عن استيائه من الشكل الذي يُتِمُّ به مؤمنو كورنثية «عشاء الرب»، يقول: «إذ أوصي بهذا، لا أمدَح لأنّكم لا للأفضل بل للأسوأ تجتمعون» (١١: ١٧).

بحثنا هذا يتناول المقطع الثاني من الفصل الحادي عشر (١١: ١٧-٣٤)، والذي يطرح مشكلة الاجتماع الافخرستي، أو «عشاء الرب». بالإمكان توزيع هذا المقطع في ثلاثة أقسام: يُندِّد الرسول، أوّلاً، بتصرُّف الكورنثيّين (١١: ١٧-٢٢)، ثمّ يذكر التقليد الذي تلقّاه من الربّ، والذي يَتعارض مع تصرُّف الكورنثيّين، مبيِّناً النتائج التي تنال، على السواء، من قدسيّة الاحتفال ومن كرامة المشاركين فيه عن غير أهليَّة (١١: ٢٣-٣٢)، ليُنهي بتوجيهاتٍ عمليّة، ينبغي التقيّد بها أثناء الاجتماع (١١: ٣٢-٣٤)، بانتظار قدومه إلى كورنثية.

أوّلاً: معطيات النص

١) مفارقة في التعابير

يَتَّسِم المقطع المشار إليه **بطابع جَدَليّ**: يقارن الرسول تصرُّفَ الكورنثيّين عند اجتماعهم (١١: ١٨، ٢١)، مع مفهومه هو، الشخصيّ، لعشاء الرب – الذي يستَنِد إلى تقليد تلقّاه من الربّ (١١: ٢٣) – كاشفاً عن التباين العميق بينهما. يُعبّر الرسول عن هذا الاختلاف الأساسي من خلال تضادٍ تُبرزه التعابير: فِعل «تجتمعون»، الذي يتكرّر خمس مرّات في النص (١١: ١٧، ١٨، ٢٠، ٣٣، ٣٤)، يُقابله المفهوم المعاكس: «...أسمع... أنّ بينكم شقاقاً» (١١: ١٨)، «بينكم بدع» (١١: ١٩)، إضافة إلى التصرُّف الفردانيّ الأنانيّ الذي يلجأ إليه البعض: «لأنّ كل واحد، يَخِفُّ وقت الطعام إلى عشائه هو، فواحد يجوع وواحد يَسكر» (١١: ٢١).

٢) بين «عشاء الرب» و«العشاء الخاص»

يظهر التباين جَليا بين تصرُّف الكورنثيّين، من جهة، ومفهوم الرسول، من جهة ثانية، على صعيد التناقض العميق بين «عشاء الرب» (١١: ٢٠، ٢٣، ٢٦)، الذي من أجله وبه تلتئم الجماعة، و«العشاء الخاص» (١١: ٢١-٢٢)، الذي يتسبَّب في تفكيك الجماعة وشرذمتها. فإذا كان الاختلاف بين «العشاءَين» جذريّاً، ليس إلاّ لأنّ الرب، شخصيّاً، هو الداعي إلى اجتماع واحد.

تجدر الإشارة إلى طبيعةِ هذا الاختلاف بين «العشاءَين» وعدم إمكان التساوي بينهما: «العشاء الخاص»، هو مصدر وسبب «شقاق» (١١: ١٨)؛ «فواحد يجوع وواحد يَسكَر» (١١: ٢١)، بينما «عشاء الرب» يُحقّق الشراكة ويَبني الوحدة. ليس «العشاء الخاص» «وليمةَ المحبّة»: فهو يخلق الفروقات ويُرسّخها، يتسبَّب في دمار الوحدة الكنسيَّة، يُضرِم نار الحسد ويزرع المرارة في القلوب؛ «عشاء الرب»، خبزاً وخمراً، يُقيتُ الكنيسة ويُغذّيها ببساطة كلّية، يَبنيها، يُشبِعُها ويقضي على الفروقات والتمايز فيها.

لذا، فهو ينبوع فرح لا ينضب، يتدفّق من حب الرب الفادي والمخلّص. «عشاء الرب» يُوحِّد بمحبّة الربّ السخيّة: فلا «شقاق» (١١:١٨) ولا «بِدَع» (١١:١٩).

«عشاء الرب»، إنّما هو «ديناميّة تقليد» تتفجَّر من شخص الرب (١١:٢٣)، لتَسري في عروق جسده السرّي، أي الكنيسة: فليس هو «صنيعة» بشر، أو وليد نزَوات فردانيّة. من هذا المنطلق، تتأتّى الأهميّة الكبرى للآيات ٢٣-٢٦، ويُفهَم تأثيرها العميق في التمييز بين ما يأتي من الرب، وما يَصدُر عن نزوات الأفراد. من هذا المنطلق أيضاً، تبرُز أهميّة «وصيّة الرب»، يكرّرها الرسول مرّتين: بعد البركة على الخبز (١١:٢٤)، وبعد البركة على الكأس (١١:٢٥). ففي هذه التوصية، المكرَّرة، رفض قاطع لما هو من اختراع البشر («العشاء الخاص»)، وتمسُّك أكيد بما هو من وضع الرب («عشاء الرب»).

٣) نتائج العشاء الخاص

النتائج التي تنالُ، على السواء، من قدسيّة الاجتماع الافخرستي ومن كرامة المؤمن، نقرأها في ١١:٢٧: «إذاً فمن يأكل خبز الرب ويشرب كأسه، وهو غير أهل، **يُذنِب** إلى جسد الرب ودمه».

فالمؤمن الذي يَجرؤ على الاشتراك في عشاء الرب، «وهو غير أهل»، يُعتَبَر مُذنباً إلى جسد الرب ودمه، مذنباً إلى شخص الرب؛ بجرأته هذه، يأثم إلى شخص الرب الداعي، يَحتقره ويرتكب إهانة لِقُدْسِيَّةِ وليمته. لذا، وجب أن «يمتحن كل إنسان نفسه، ثمّ يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس» (١١:٢٨). عدَم «تمييز جسد الرب» (١١:٢٩)، لا يعني فقط عدم تمييز الخبز الافخرستي مِن الخبز العادي. عدم التمييز هذا يعني عدم التقيُّد بالمتطلّبات التي يقتضيها الاشتراك بجسد الرب ودمه، وبما يفرضه من التزام بسلوك جديد، يدعو إليه الرب مُتناولي جسده ودمه. هذه المتطلّبات هي في جوهرها كنسيَّة، وتقوم على صيانة الجسد السرّي – الذي هو الجماعة الكنسيّة الأفخرستيّة – وعلى تشديده في الوحدة والتماسك، لئلاّ يَفقدَ «عشاءُ الربِ غايتَه ومعناه؛ فهو سرّ الوحدة ورباط المحبّة». هذا، ويُذكِّر الرسول، تكراراً، مَن لا يَرعى هذه المتطلّبات بأنّه يُهيّئ «دينونة لنفسه». ويَخلُص إلى القول: إذا كان بين مؤمني كورنتس كثير «من ضعفاء ومرضى، وقد رقد عدد كبير» (١١:٣٠)، فليس إلاّ نتيجة لعدم تمييز جسد الرب. لكن، وإذا كان من قصاص، فليس المقصود منه الانتقام، بل «الحثّ على التوبة، التي تُنجّي من الحكم والهلاك. ولو لم يُذنب قوم إلى جسد الرب ودمه، لما كان ذلك القصاص ضروريّاً» (١١:٣١-٣٢).

أخيراً، «عشاء الرب»، التئام الجماعة، ليس من أجل إشباع جوع، بل من أجل بناء الكنيسة. وعلى هذا الأساس، يُعطي الرسول بعض توصيات عمليّة سريعة، على أن تُسوّى المشكلة لدى قدومه إلى كورنثية (١١:٣٣-٣٤).

ثانياً: «عشاء الرب»

١) وصيّة الرب: «إصنعوا هذا لذكري» (١١:٢٤-٢٥)

التعبير «**إصنعوا**» هو أمر جازم قاطع. يسوع يتطلّب عملاً. يُستَنتَج أنّ «ذكرى» يسوع ليست فكرة فقط، أو ذكراً عقليّاً، بل وخاصّة **عمل** يجب إتمامه.

ما قوام «**هذا**» الذي على التلاميذ أن يصنعوه؟ لقارئ متسرّع، هو الطعام الذي تناوله يسوع مع تلاميذه. لكن إذا درسنا النص بتمعّن، نفهم أنّ الأمر حسب بولس (ولوقا) يعود إلى ما أجراه المسيح على الخبز وعلى الخمر. وعليه، في نصّ بولس الرسول، يُعاد الأمر بعد كلّ رتبة. فالمقصود من «**هذا**» بالضبط لا العشاء بالعموم، لكن البركة على الخبز والبركة على الكأس.

التعبير «**لذكري**» أو بالأفضل: «**إصنعوا هذا تذكاراً لي**»، هو متأصّل في تقليد العهد القديم. فضلاً عن هذا، فهو يعني الذكر الموضوعيّ الذي يقوم بالاحتفال ذاته، وغايته ذكر الحدث الفصحي الخلاصي. هذا التعبير «ذكراً لي» لا يدلّ فقط على أنّ المسيح رسم الذكرى، لكن وبالأخصّ على أنّه هو الموضوع. فالكنيسة إذاً باحتفالها تقوم هي بذكرى المسيح. لذا، ارتكازاً على وصيّة المسيح، يتبيّن أنّ الذكرى لا تطلب الرجوع الواضح إلى موت المسيح، بل الرجوع إلى شخصه. وعليه، فإنّ يسوع لم يقل «إصنعوا هذا ذكراً لموتي»، بل لذكري. وضمير المتكلّم يشمل التعبيرَين: «جسدي ودمي». فالتلاميذ إذاً، وبالتالي الكنيسة، هم مدعوّون إلى الارتقاء إلى حضور المسيح الشخصي، كلّ مرّة يقيمون الذكرى.

وهكذا يظهر يسوع وقد اكتسب بتقدِمَة ذاته وجوداً يفوق الزمان. ومن حيث أنّه قابل للموت، يَقدَم إلى الموت طبعاً. لكنّه، من موقع كلامه، هو فوق الموت، لأنّه يُفهِم مدعوّيه أنّهم يلتقونه

هو، حيّاً، كلّ مرّة يحتفلون بهذه الوليمة. الكلمات التي يتلفظ بها يسوع بخصوص الخبز والكأس توجز في الحاضر حقيقةً مستقبليّةً مبنيّةً من تناقضات: تستبق غيابه معلنة موته، وتُؤَوِّنُ حضوره جديداً ما فوق غيابه. عندما أمر يسوع الرسل: «إصنعوا هذا لذكري» كان يقصد وضعاً جديداً. الموت سيحدث، وإذا دامت نتيجته، فهو يخصّ زماناً انقضى ولن يعود. وحده مجيء المسيح السرّي يكون الحدث الحقيقي والجديد أبداً، كلّما اجتمع المؤمنون. هذا يعني أنّه في سرد الرواية، حدثِ العشاء الأخير، تتغلّبُ حياةُ يسوعَ الجديدة على موته نهائيّاً. فوليمة الجماعة المسيحيّة في المستقبل لا يقتصر دورها، بكلّ بساطة، على أن تضع المؤمنين أمام موت المسيح الخلاصي، بل غايتها أن يُحتَفَل بحياته الجديدة قرب الآب، ومن حيث أنّها، هي ذاتها، أعطيت للتلاميذ. وعلى هؤلاء أن يعبروا دوماً من الموت إلى الحياة.

أمّا التلاميذ الباقون على الأرض فتستمرّ الصِلات المتبادلة بينهم وبين القائم من القبر بواسطة ترتيب رمزيّ حسّي: بالأمس، كان الرجل يسوع، منظوراً ملموساً، عائلته وقريته معروفتان، أمّا اليوم، فإنّه الخبز والخمر، نراهما ونلمسهما، وهما من إنتاج الأرض وتَعَبِ الإنسان. لكن تلك الصلة المتبادلة لم تعد من عالم المرئيّات، بل هي تأخذ بالتلاميذ من الداخل. هذا ما يشار إليه باختيار القوت (الخبز) والشراب (الخمر) كرَمزَين: فيسوع ليس فقط ذاك الذي يثبّت جماعته حيّة، لكنّه هو والتلاميذ سيُصبحون واحداً بنوع سرّي، بالرغم من الغياب، غيابه هو، الذي سيطول حتّى انقضاء هذا الدهر. وبما أنّهم شركاء في الخبز والخمر، فلا الجسد ولا الدم يذكّران بأشياء جامدة سلبها الموت وظيفتها: إنّهما يعبّران، بمفهوم الكتاب المقدّس، عن الشركة على مستوى الكيان.

يصبح يسوعُ الغائبَ–الحاضرَ. تحوّلت بشريّته أصلاً بالموت الذي اقتبله، وصار حياة باقية بالله. «جسده» لم يعد كما كان يراه الناس. بعد اليوم، حضوره على الأرض يُتَرجَمُ على خِلاف ذلك: من خلال الخبز والخمر، ومن خلال التلاميذ المتّحدين به.

٢) الاحتفال الافخرستي (١١: ٢٦)

«فكلّما أكلتم هذا الخبز
وشربتم هذه الكأس،
تبشّرون بموت الربّ
حتّى مجيئه».

كلام الرسول يقدّم عن الإفخارستيا شروحاً ثلاثة: في قوله: «فكلّما... تبشرون»، يعني القدّيس بولس أنّ الإفخارستيا، فضلاً عن أنّها «فعل عبادة»، هي أيضاً «بشارة» أو «كرازة». بتعبير آخر، الاحتفال بالإفخارستيا، حسب وصيّة الربّ، يعني بحدّ ذاته البشارة بحدث الخلاص. فالإفخارستيا هي إذاً «فعل عبادة–تذكار» لحدث الخلاص وبشارة به.

الإفخارستيا هي بشارة بموت الربّ. موضوع هذه البشارة ومضمونها هو موت الربّ. لكن يُستَنتَجُ من النص أنّ هذا الموت ليس حدثاً تاريخيّاً صرفاً، إنّما هو سرّ الخلاص ككلّ. ولو لم يذكر إلاّ موت يسوع، فمن الواضح أنّ بولس الرسول لا يغفل عن ذكر القيامة، بقوله: «حتّى مجيئه».

البشارة تتحوّل إلى ابتهال. فالبشارة، إذ تمتدّ حتّى مجيء الربّ، تعلن، ليس فقط، عن أنّ السرّ الفصحيّ قد اكتمل، بل أنّه يكتمل في البشريّة المنتظرة. لهذا تتحوّل البشارة إلى ابتهال، «وحتّى مجيئه» تصبح صلاة: «مارانا تا»: «تعال، أيّها السيّد». فإذ تنتظر مجيء الرب يسوع، تجتمع الجماعة الإفخارستيّة للصلاة لتكون فترة الزمان الممتدّة من الآن وحتّى الظهور الأخير مستنيرة بالنعمة: حضور الربّ الأسراريّ.

٣) مفهوم التعابير

أ) مفهوم الخبز والخمر معاً

العنصران جديدان بالنسبة إلى الذكرى الفصحيّة. صحيح أنّ الخمر تَمثّل في الاحتفال، إذ كانت أربعُ كؤوس تُملأ وتُشرَب. لكن لم يكن للخمر تعلّق بالذكرى، هذه التي تتكوّن فقط من الحمل الفصحي، والخبز الفطير، والحشائش المرّة. أمّا الخمر فكان دلالة على الاحتفال بالعيد وأهميّة التبريكات.

ولكن، إذا لم يكن الخبز والخمر مرتبطَين بالذكرى الفصحيّة، إلاّ أنّنا غالباً ما نجدهما معاً في أسفار العهد القديم. ابن سيراخ يعتبرهما من الضروريّات الأولى لحياة الإنسان[١]، ويَتمتّعان بمعنى مَعَاديّ، إذ يُذكَران في محاصيل أرض الميعاد[٢]، ومن الخيور

١– راجع ابن سيراخ ٣٩: ٣١.
٢– راجع تثنية الاشتراع ١١: ١٤؛ ٣٣: ٢٨.

التي بها يبارك الله شعبَه[٣]. يذكرهما الكتاب بين بركات الآباء الأكثر قدماً[٤] وفي نشيد موسى[٥]. كان من المرتقب أن يُشَكّل هذان العنصران جزءاً من وليمة المسيح المنتظر[٦]. لذا، وبما أنّ الخبز والخمر عنصران يعبّران عن بركة الله للإنسان، فهما يَتَمتّعان باعتبار ديني. ملكيصادق حبر الله العالي وملك شَليم جاء لإبراهيم بتقدمةٍ خبزاً وخمراً[٧].

تجدر الملاحظة أخيراً إلى الأهميّة التي تُعَلَّقُ على هذين العنصرين، الخبز والخمر. إنّهما من الضروريّات الأساسيّة لحياة الإنسان، ورجاء يرتبط بالوعد بعهد نهائيّ مرتقب.

ب) مفهوم الخبز وحده

في عالم التوراة، الخبز طعام كلّ إنسان، ولا يستغني عنه أحد. وبما أنّه غذاء الإنسان اليوميّ فإنّ مصدره جود الخالق، يمنحه لمن يطلبه. الخبز مُعَدّ ليُكسَر، وخاصّة مع الجائعين. إنّها بادرة الصدّيق الأساسيّة. ومنذ اختيار المنّ، الذي أُعطِيَ لإسرائيل قوتاً في الصحراء، راح الخبز يشير إلى القوت الروحيّ المنتظر[٨].

بعد مجيء المسيح وخاصّة في مدّة رسالته، أخذ الخبزُ منحى خاصّاً كان العهد القديم قد لمّح إليه. والمسيح، ولو رضي بأن يلقّب بحمل الله، لم يتمثّل مطلقاً بالحمل. بالعكس، لقد اختار تعبير التوراة «خبز السماء»[٩]، وعرّف عن ذاته جهراً أنّه الخبز الذي نزل من السماء[١٠]. فضلاً عن ذلك، وإذ استقى من العهد القديم موضوع الخبز المكسور بين المحتاجين، كثّر الخبز وتقاسمه مع الجياع إلى كلمته[١١]. لذا نرى في كسر الخبز معنىً مزدوجاً: تَصَرُّفُ المعلّم بين تلاميذه، يرئس المائدة، وبادرةُ المحبّة نحو المحتاجين.

كسرُ الخبز هذا، بالذات، حفظه لذكراه. لم يحتفظ بالحمل ولا بالأطعمة الأخرى، بل احتفظ بالخبز مع رتبته ورمزيّته. بهذا الاعتبار، يتمتّع هذا الخبز ورتبته بميزة خاصّة، أن يكون السرّ الطبيعيّ للمشاركة في المائدة الجديدة. على أنّ هذا الجديد، الأفضليّةُ فيه للخبز المكسور، على رتبة الحمل. فلا عجب إذا رأينا الكنيسة الأولى تُعطي الإفخارستيا اسم «كسر الخبز»[١٢].

تعبير كهذا لا ينفي البركة على الخمر، لكن يبيّن بوضوح ما يمثّل من جديد لمعاصري يسوع. وعليه، فالجديد في الإفخارستيا لم يكن بتبريك الكأس، بل بكسر الخبز، لأنّه حلّ محلّ الحمل. من هنا نفهم لماذا ربط لوقا الوصيّة «إصنعوا هذا لذكري» برتبة الخبز وبالخبز فقط.

ج) مفهوم كأس الخمر

للكأس في التوراة معانٍ مجازيّة كثيرة: إنّها كأس الشركة، لأنّ الشرب معاً من كأس واحدة يعبّر عن وحدة المدعوّين. بالنسبة إلى العشاء الأخير، وبالرغم من العادة السائدة، فالكأس واحدة للجميع. الكأس تعني أيضاً المصير المحفوظ لأحدهم: لهذا، في مدّة رسالته، يُنبئ يسوع عن آلامه من خلال معنى الكأس، إذ قال لابنَي زبدى: «هل تستطيعان شرب الكأس التي أنا أشربها»[١٣]؛ وفي الجسمانيّة، يقبل الكأس التي أرسلها له الآب.

الخمر يربطها يسوع بمعنى رسالته، وهي أنّه يأتي نحو البشر يشاركهم أعيادهم. والخمر في نظره تعبّر عن الفرح المنتظر الذي يحمله للعالم[١٤].

إذ يأخذ بيديه الخبز والكأس، يدخل يسوع في علاقة، وفي آنٍ معاً، مع القوت اليومي والقوت المعدّ للعيد. على هذا الوجه المزدوج، يضطلع يسوع بالخليقة كينبوع حياة وشراكة بين البشر. وإذ يربطها بالله الآب الخالق

٣- راجع تثنية الاشتراع ٢٨:٥.
٤- راجع تكوين ٤٩:١١-١٢، ٢٠، ٢٦.
٥- راجع تثنية الاشتراع ٣٢:١٤.
٦- راجع اشعيا ٥٥:١-٢؛ أمثال ٩:٥.
٧- راجع تكوين ١٤:١٨.
٨- راجع خروج ١٦؛ عدد ١١:٧-٩؛ مزمور ٧٨:٢٣-٢٥؛ رؤيا ٢:١٧.
٩- راجع يوحنّا ١:٢٩، ٣٦؛ خروج ١٦:٤؛ مزمور ٧٨:٢٥؛ حكمة ١٦:٢٠.
١٠- راجع يوحنّا ٦:٤١.
١١- راجع ارميا ١٦:٧؛ حزقيّال ١٨:٧؛ آشعيا ٥٨:٧؛ متّى ١٤:١٩.
١٢- راجع أعمال ٢:٤٢-٤٦؛ ٢٠:٧، ١١.
١٣- راجع متّى ١٠:٣٨.
١٤- راجع يوحنّا ٢:١-١١.

بالبركة، يعطي يسوع عمله هذا أهميّة بالغة. فالخليقة، الحاضرة في الخبز والخمر، هي أيضاً، بين يديه، على اتّصال بالخالق، وهي أهلٌ لأن تعني حضوره.

د) «جسدي... دمي»

من حيث التعابير، الأفضل أن يُقال: «لحم ودم». لهذا، عندما يجمع الكتاب الكلمتَين تكون الصيغة المألوفة: «بَسَر»[١٥] و«دَم». والكلمة «جسد» تنوب عن «لحم» لأسباب كنسيّة فقط[١٦].

ما كانت غاية المسيح لمّا قال عن الخبز: «هذا جسدي»، وعن الخمر: «هذا دمي»؟

هذا الثنائي، جسد ودم، المطابق تلقائيّاً ثنائيّاً آخر، خبز وخمر، يشير إلى ذات كاملة. العنصران الأساسيّان في الوليمة الطقسيّة يقابلهما عنصرا المركّب البشري، اللحم والدم. وهكذا، لحم ودم يعبّران عن شخصيّة المسيح كاملة.

إنّ دراسة علم الإنسان وعلم اللاهوت الكتابي تدعم هذا المفهوم. يقول يُونْغْ: «إنّ الجسد من الإنسان هو مظهر الروح نحو الخارج. فالروح تظهر في الجسد وبواسطة الجسد». فاللحم يكون الشكل الحي للكائن، «الأنا» في وحدتها الروحيّة–الجسديّة، الشخصيّة بكلّيتها.

في الواقع، لا يشير الساميّون بكلمة «جسد» إلى الجهاز البشري، لكنّهم يشيرون بها إلى الكائن البشري الذي بوصفه إنساناً يستطيع أن يُعبّر ويتحرّك، أو أيضاً الكائن الذي يتعامل ويتفاعل مع الكون ومع الآخر. حسب علم الكائن عند اليهود، ليس للإنسان جسد فحسب، بل هو جسد. وإذا كان صحيحاً أنّ يسوع، ككلّ إنسان، تعامل وعبّر بجسده، فهذا التعبير يدل على شخصه بما أنّه على صلة مع غير المحسوس ومع الخليقة جمعاء.

وهكذا نستطيع أن نبرهن عن صلة متشابهة بين الخمر والحياة، كما هي الصلة بين الحياة والدم. بموجب التوراة، الدم هو مبدأ الحياة[١٧]. وهو يعتبر جوهر الحياة، ملكاً لله وحده. كذلك يُعطى الخمر للإنسان ليصون فيه روح الحياة. من هنا كانت الصلة بين الخمر والحياة. بالنتيجة، الدم، كاللحم، يعني بالنهاية الكائن الحي، في تعبيره وعيشه المرئي.

من ثَمّ نتساءل، لماذا عنصران رمزيّان ليُعبّرا عن حقيقة واحدة، أي إعطاء ذاته كاملة؟ إذا أخذ المسيح كِلاَ الرمزَين، فلأنّه أراد أن يعبّرَ عن وجهتَين كاملتَين: «الدم» يعني الإنسان بوصفه كائناً حيّاً، وهو هو شخصيّاً. «اللحم» يعني الإنسان، ليس فقط ككائن محسوس، بل وخاصّة بوصفه عضواً من وفي الجماعة البشريّة، مميَّزاً عن الكائنات الفائقة الطبيعة. في هذا الأفق، أَعطى دمَه لا يعني أعطى ذاته فحسب، بل أعطى حياته الخاصّة التي يتمتّع بها كل كائن حي. أعطى جسده يعني أعطى عيشه في هذا العالم مع علاقاته العائليّة والعرقيّة. وعليه، فالإنسان ليس فرداً، لكنّه كائن من شعب، معه وبه يوجد، وهو بدوره يحمل في صلبه ذريّته.

Voir *Ravenna Felix*, Longo Editore, p. 60.

«إصنعوا هذا لذكري» (١ كو ١١: ٢٤–٢٥)
العشاء الأخير (١ كو ١٠: ١٦–١٧؛ ١١: ١٧–٣٤)
(فسيفساء من القرن السادس، رَافِنَّا [Ravenna]، إيطاليا)

١٥– كلمة عبريّة تعني «لحم».
١٦– راجع ١ كو ١٠:١٦.
١٧– راجع أحبار ١١:١٧.

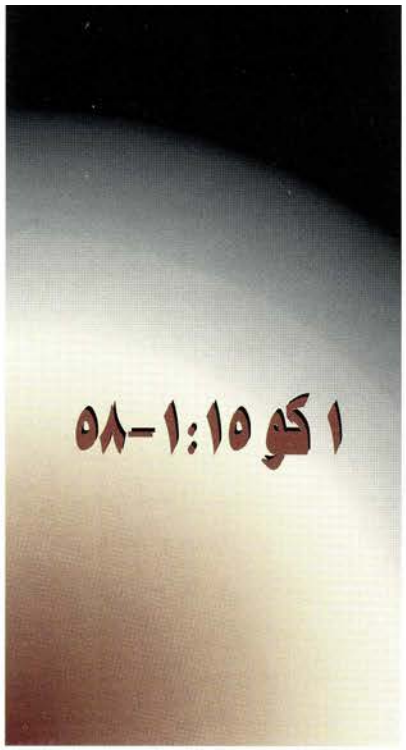

المسيح القائم من الموت

الخوري أنطوان مخائيل

يفترض موضوع الفصل الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين أنّ بولس كان قد لاقى معارضة من قبل بعض المؤمنين في جماعة كورنتس، بسبب آرائهم الفلسفيّة، التي لا تقبل بقيامة الأجساد. على هؤلاء يجيب بولس بأنّ رفض جزء من المعطى الموحى يقود حتمًا إلى رفضه بكلّيته. إنطلاقًا من أساس الإيمان المسيحي، المتمحور حول قيامة المسيح، يشرح بولس إمكانيّة وشكل قيامة كاملة للإنسان.

١- قيامة المسيح وقيامة المسيحيّين (آ ٣-٣٤)

يقدّم بولس تعليم الخلاص الذي يكرز به على أنّه المعطى المنقول بأمانة من قبل التقليد (الشفهي حتّى تلك الفترة). يتعلّق محتوى هذا المعطى بالحدث الفصحي، أي بحدث موت وقيامة المسيح (آ ١-٣)، حدث معلن مسبقًا في الكتب، في إطار تصميم الله الخلاصي الشامل، ومؤكّد من قبل شهود عيان. يستعيد بولس هنا صيغة إيمان تعود على الأرجح إلى الجماعة المسيحيّة الأولى، وفيها يقدّم موت المسيح من ناحية مزدوجة: تاريخيّة ودينيّة. يؤكّد الحدث التاريخي فعل وضع المسيح في القبر، وهو تفصيل يذكره الإنجيليّون الأربعة، ممّا يثبت موت يسوع وبالتالي قيامته الجسديّة. في معناه الديني، يقود موت يسوع إلى القناعة بقيامة المؤمنين. بحسب القدّيس بولس، موت المسيح على الصليب هو موت بسبب خطايانا (روم ٤:١٥)؛ وهذا يتطلّب، بأمانة للمسيح، أن نموت عن ذواتنا وعن خطايانا (روم ٦:٦). تظهر قيمة قيامة المسيح الحاليّة من خلال تصريف الأفعال: فبينما يستعمل بولس صيغة الماضي غير المحدّد للإشارة إلى موت المسيح، كحدث تمّ في الماضي (آ ٣)، يستعمل، للإشارة إلى القيامة، الماضي التام، الذي ينقل حدثًا ماضيًا، يتضمّن أيضًا واقعًا وتأثيرًا حاليًا. هذا يعني أنّ قيامة المسيح هي حقيقة إلهيّة، يستمرّ فعلها أبديًا. يؤكّد حقيقة قيامة المسيح فعل ترائيه. يستعمل بولس فعل «رأى» (آ ٥) المستعمل في العهد القديم للإشارة إلى الظهورات الإلهيّة، المدركة بطريقة محسوسة. في حالتنا هذه، يعرف الرسل، من بعد أن رأوا الربّ يسوع من جديد، بأنّه قام وبأنّهم يستطيعون أن يشهدوا لذلك. من بعد رؤيته على طريق دمشق، يعرف بولس ذلك أيضًا ويمكنه أن يقدّم نفسه هو أيضًا كشاهد مميّز للمسيح القائم (آ ٨-١٠).

تذكّرنا الآيات ١١-١٩ مرّة أخيرة بأنّ موت وقيامة المسيح يشكّلان محور تعليم الخلاص المسيحي، موضوع إيماننا الرئيسي. يجب إذًا على هذا الحدث أن يشكّل ويوحي كلّ حياتنا المسيحيّة. فمصير وتصرّف المسيحي يرتبطان بقوّة بقيامة المسيح: إذا كان المسيح قد قام، فنحن سنقوم أيضًا، بفعل تضامننا معه؛ وإذا كان المسيح قد قام، وكان علينا جميعًا أن نتحوّل فيه، فيجب أن تعبر فينا التصرّفات الموافقة لحالة جسده الحاليّة، الروحانيّة وغير الفاسدة. بالنسبة إلى بولس، تبدو قيامة المسيح حدثًا أساسيًا، يمتلك في ذاته قوّة قادرة على تحديد مستقبل وحاضر التاريخ، الكوني والشخصي. مركزية قيامة المسيح هذه تظهر من خلال ربط

البشارة والإيمان بها (آ ١٤ و١٧). إن كان المسيح لم يقم، بافتراض مستحيل، فنحن نبقى تحت سلطان الخطيئة، منغمسين في الشقاء الأعظم (آ ١٩). هناك ثلاثة عوامل تتدخّل بالضرورة ليستطيع الإنسان أن يخلص في لقائه بالمسيح المخلّص: إلى الخلاص (التحرّر من الخطيئة) يدخل الإنسان بواسطة الإيمان الذي يأتي مضمونه وفعاليّته من قيامة المسيح. الخلاص، والإيمان، والقيامة: هذه هي الثلاثيّة التي تمكّن بولس من بناء تعليمه حول الخلاص. لكي يكون خلاصنا ممكنًا، لا يكفي موت المسيح، وذلك لسببين: أوّلاً، لأنّه لا يمكن تصوّر أنّ إيماننا يتوجّه إلى شخص مائت، ومن ثمّ لأنّ الحياة لا تأتي من شخص غلبه الموت نهائيًا. إذا كان المسيح لم يقم، فهو يجرّنا معه في فشله؛ معه ومثله كنّا بقينا تحت سلطان الموت والخطيئة.

من فرضيّة عدم قيامة المسيح تتبع إذًا نتيجتان: واحدة تطال «الذين ماتوا في المسيح»: «لقد هلكوا» (آ ١٨)؛ وأخرى تطال المؤمنين الذين لا يزالون على قيد الحياة، في انتظار المجيء (١ تس ٤:١٥): هم «أحق جميع الناس بأن يرثى لهم» (آ ١٩). هنا يصل بولس إلى ذروة خطابه إذ يؤكّد بأنّ قيامة المسيح هي الأساس النهائي والأخير لرجائنا بالقيامة المجيدة (آ ٢٠). في سبيل إيضاح فكرته، يستعمل بولس صورة «الباكورة»، أو الثمار الأولى، المأخوذة من عالم الحصاد أو القطاف، ويشبّه عالمنا بحقل كبير، فيه توضع أجساد القدّيسين، كبذور المجد الآتي. لكن هذا العالم كان قد قبل فيه حياة جديدة، في جسد المسيح. من بين إخوة كثيرين (روم ٨:٢٩)، المسيح هو الأوّل الذي ولد من الموت إلى حياة جديدة.

٢- كيفيّة القيامة وانتصار الحياة (آ ٣٥-٥٨)

على سؤال الكورنثيّين: «كيف يقوم الأموات؟ وفي أي جسد يعودون؟» (آ ٣٥)، يجيب بولس بمقاربة يستعيرها من عالم النبات والحيوان والكواكب، حيث يمكننا ملاحظة عاملين: تخضع الكائنات لتحوّلات عميقة، داخل كلّ جنس، تختلف هذه كثيرًا بعضها عن بعض (آ ٣٦-٤١). لذلك لا شيء يدفعنا إلى القول بأنّ هناك جنسًا واحدًا للأجسام البشريّة، ذلك الذي نعرفه والذي يختفي في الموت. والكتاب المقدّس يشهد لوجود نوعين من الأجساد أو من البشر: آدم الأوّل، الذي من التراب، وآدم الآخر، الذي من السماء (آ ٤٦-٤٧). ليس هناك تعارض فقط بين آدم والمسيح القائم، بل وأيضًا بين الخليقة الأولى وإعادة خلق البشريّة النهائي، في يسوع المسيح. لقد قبل آدم الحياة، لكنّه ليس هو الذي ينقلها: فيه، على العكس، دخل الموت إلى العالم (روم ٥:١٢). أمّا يسوع، الذي هو روح ويحيا في الحاضر، فينقل الحياة بطريقة نهائيّة، في انتصاره الأخير على الموت. آدم الآخر السماوي هو الذي يأتي ليخلّص البشريّة من وضعها الجسدي الخاطئ والمائت، الذي تأخذه من رُبُطِها الضروريّة مع آدم الأوّل، المأخوذ من التراب، فتصبح بالتالي ممتلئة من روح الله. كلّ إنسان سيقوم إذًا، كما المسيح القائم، في جسد ممجّد (آ ٤٩). هنا يسقط اعتراض الكورنثيّين الأساسي: «إنّ اللحم والدم لا يسعهما أن يرثا ملكوت الله» (آ ٥٠):

لا تعني القيامة بداية جديدة للحياة الأرضيّة في عالم يشبه عالمنا، بل هي تحول وامتلاك كامل من الرّوح، على مثال المسيح الربّ (آ ٥١-٥٣).

في صيرورته غير مائت، يتخلّص الإنسان من الخوف والموت، ويتحوّل إلى غير فاسد وخالد، أي يتحرّر كلّيًا ونهائيًا من الموت. في القيامة، يصبح كياننا كلّه خالدًا. إنّه في جسدنا نقوم. يصف بولس هذا العبور من الفساد إلى عدم الفساد بواسطة صورة «اللباس» الكتابيّة. في الكتاب المقدّس، يشير اللباس إلى كون الحاضر، الذي يجب أن يتجدّد (مز ١٠٢:٢٦-٢٨؛ مر ٢:٢١). كما يشير اللباس الأبيض إلى المجد (متّى ١٧:٢؛ مر ١٦:٥؛ أع ١:١٠). لباس المجد وعدم الفساد الذي ننتظره هو مجد يسوع القائم. ليس هذا التحوّل تحوّلاً خارجيًا، بل هو تحوّل يطالنا في عمق كياننا. في مكان آخر، يستعمل بولس نفس الصورة ليشير إلى مفعول العماد: «فإنّكم جميعًا، وقد اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح» (غل ٣:٢٧؛ رج أف ٤:٢٥). عندما يلبس أولئك الذين يشعرون بثقل الموت الخلود، سيكون انتصار كبير، صرخة غلبة (آ ٥٥). حتّى موت وقيامة المسيح، كان الموت يملك غالبًا (روم ٥:١٤-٢١). منذ قيامة المسيح، تأكّد انتصار الحياة؛ ابتداء من القيامة العامّة، سيكون النصر نهائيًا ومكتملاً. لذلك يستطيع بولس أن ينشد: «الشكر لله الذي آتانا النصر على يد ربّنا يسوع المسيح» (آ ٥٧).

في هذا الفصل، يشدّد بولس على أن ما هو خاص بالمسيحيّين، هو الإيمان

بالقيامة، قيامة المسيح وقيامة البشر. أن يكون يسوع قد مات، من لا يقول ذلك؟ أن يكون قد مات حبًّا بالبشر، هذا لا يشكّل وحده حدثًا فريدًا. لكن أن يكون قد قام، فهذه هي العلامة العظمى، علامة على أنّه فعلاً ابن الله، على أن الآب قد قبل ذبيحته، وعلى أنّنا خلصنا. التحوّل الذي تحقّقه القيامة فينا لا يحرّرنا فقط من الخوف من الموت، بل وأيضًا يقلب كلّ الحواجز التي لا تزال تقسم البشر؛ إنّه يحقّق الوحدة الكاملة في الجسد، جسد المسيح الوحيد الممجّد. إنّها وحدها القادرة على تحقيق الشراكة التي يحتاج إليها كثيرًا أُناس عصرنا. القيامة هي في أساس تفاؤل ثابت عند المسيحيّين، تفاؤل أقوى من كلّ فشل وانهزام. يعلم المسيحي يقينًا بأن هدفه لا يتحقّق بالكامل إلاّ بالقيامة، عند عودة الربّ يسوع. إنّنا ننتظر هذه العودة ونحضّرها في حياتنا.

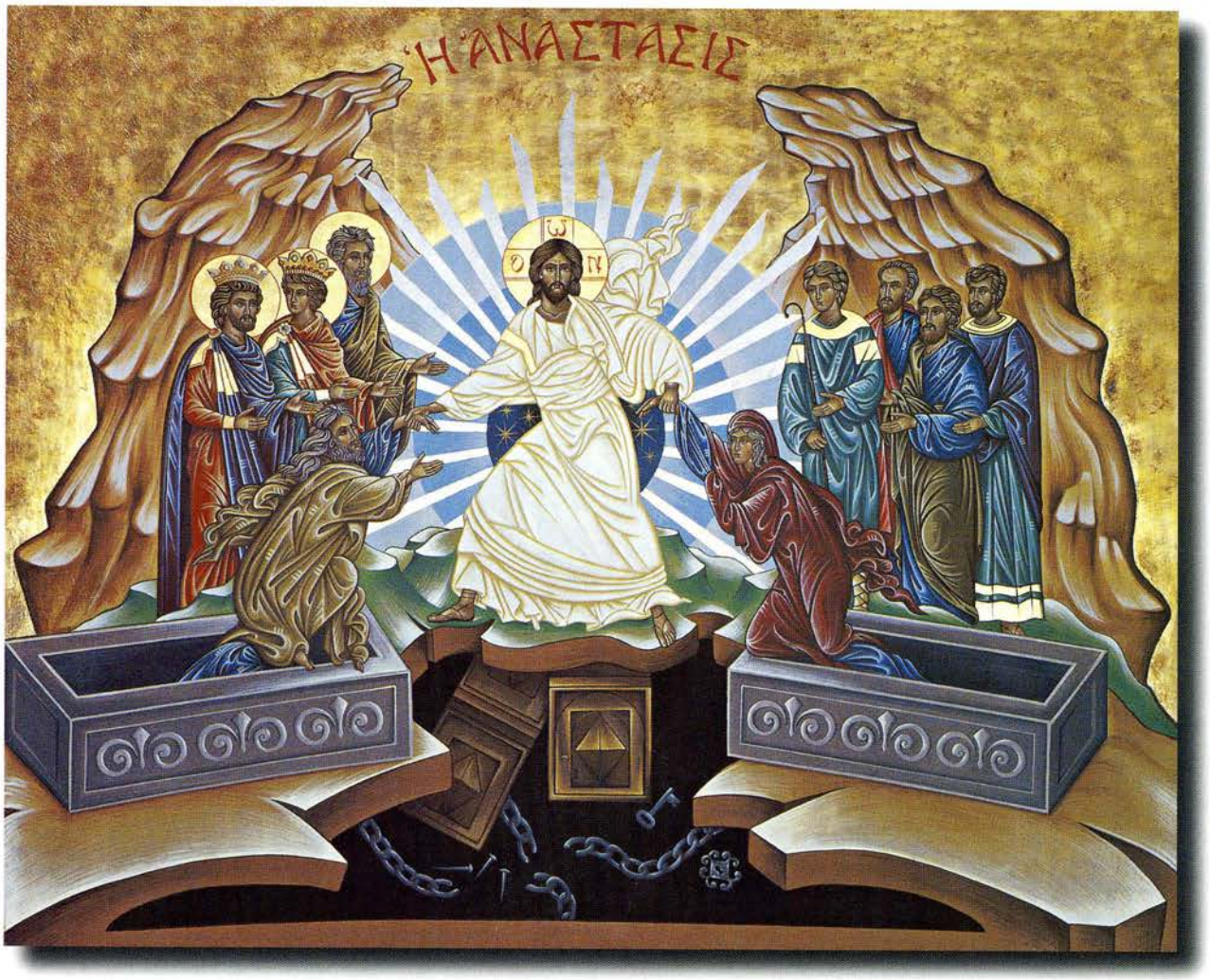

المسيح قام من بين الأموات وهو باكورة الراقدين
(١ كو ١٥: ٢٠)

بين الزواج والبتوليّة

الخوري بولس الفغالي

مع الفصل السابع من الرسالة الأولى إلى كورنتس، ندخل في واقع الحياة اليونانيّة والرومانيّة كما عرفها بولس في حوض البحر المتوسّط في طرسوس وفي مدن أخرى، كما ندخل في واقع الحياة اليهوديّة التي عاشها بولس في الشتات. فإذا أردنا أن نكتشف هذا النصّ، نتذكّر الجوّ الذي كُتب فيه، فنفهم موقف بولس بما فيه من جرأة لا تفسَّر إلاّ على ضوء الإيمان المسيحي.

أمّا موضوع هذا الفصل فهو جواب على سلسلة من المسائل ترتبط بالزواج. بعد التوجيهات العامّة التي نقرأها في آ١-٧، «فليكن لكلّ رجل امرأته، ولكلّ امرأة زوجها»، نصل إلى الحالات الخاصّة: البتول والأرملة، تحريم الطلاق، الزواجات المختلفة، أي بين مسيحيّ وغير مسيحيّ (آ٨-١٦). ويرد في آ١٧-٢٤ توسّع حول الدعوة إلى الحريّة، ثمّ كلام على البتول وما في البتوليّة من فائدة في الأيّام الأخيرة التي نعيش، بل من تسامٍ على الزواج.

فصلٌ واسع ومتشعّب. أمّا نحن فنأخذ ثلاثة مقاطع نتوقّف عندها، ولا ننسى أن نجعلها تستنير بما في هذه الأجوبة على أسئلة الكورنثيّين، لا في ١ كو ٧ وحسب بل في الرسالة كلّها.

١- توجيهات عامّة في الزواج (٧: ١-٧)

يتوجّه بولس إلى العائلات التي عرفها، إلى الزوج والزوجة وعلاقة الواحد بشريك حياته، فيفهم حياة التبادل بينهما على أنّها نعمة كبيرة جدّاً. ففي عالم يقول بأنّ الرجل يستطيع أن يتزوّج أكثر من امرأة، يعلن الرسول ارتفاع المرأة إلى كرامة رفيعة على مستوى النعمة والخلاص، وعلى مستوى الحياة اليوميّة. صارت المرأة مساوية كلّ المساواة بالرجل، وما عادت سلعة يتصرّف بها على هواه. لا فرق بين رجلٍ وامرأة، هذا ما قاله بولس في رسالته إلى غلاطية (٣: ٢٩)، قاله بشكلٍ عام، وها هو يطبّقه بشكلٍ خاصّ في هذه الرسالة.

حمل المسؤولون في كنيسة كورنتس، استفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس (١٦: ١٧)، رسالة إلى بولس وفيها أسئلة محرجة، وأوّلها حول الزواج. ويبدو من ترتيب ١ كو أنّه هناك كانت سلسلة من الأسئلة الملموسة والعمليّة، فما هي الظروف التي حملت هذه الأسئلة؟ شدّد الرسول على الامتناع من العلاقات الجنسيّة، بما في هذا الامتناع من فائدة (آ ١، ٧، ٨، ٢٧، ٣٨، ٤٠)، فبيّن لنا أنّنا أمام فلتان يتحدّث عنه (ويعيشه) أشخاص تأثّروا بعض الشيء بالغنوصيّة. غير أنّ هناك أسئلة أخرى: لماذا هذه الإعلانات التي تتوخّى تبرير الحياة الجنسيّة (آ ٧، ٢٨، ٣٦، ٣٩)، ولماذا هذا التحذير الملحّ ضدّ خطر كبح الغريزة التي فينا (آ ٢، ٥، ٨، ٣٦)؟ نجد الجواب الطبيعيّ على كلّ هذا إذا قلنا بوجود ميل فيه التردّد والوسواس، والنسك والبعد عن المعاطاة داخل الحياة الزوجيّة. هل تتوافق الحياة الجنسيّة مع القداسة المطلوبة من المؤمنين؟ أما يُفضَّل الامتناع عن الزواج؟ هل يجب أن نتزوّج؟ وإن تزوّجنا كيف نعيش معاً؟

لن ندهش من هذه الظواهر في وسطٍ معرّضٍ لمختلف التيّارات والاتّجاهات: في العالم الهلنستي اليوناني، كان تخوّف من حياة الجسد، وقد يكونون أساءوا فهم كلام بولس، فأرادوا الابتعاد عن الزواج، لا سيّما وأنّ الزمان قصير.

فرغم تساؤلات وما فيها من قلق

ووسواس، جاء تعليمُ الرسول متوازناً جدّاً. ترك الأمور الجانبيّة، وراح إلى الجوهر الذي هو علاقة الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل. ونحن نفهم هذا في إطار معاملة المرأة كسلعة في البيت، ككائن لا حقوق له إطلاقاً. في هذا الإطار نفهم الروح المسيحيّة التي نفخها بولس في عالم الزوجَين، قال: «ليكن لكلّ رجل امرأته». إذن، لا مجال لتعدّد الزوجات. لم يقل: ليكن لكلٍّ رجل نساؤه. بدأ بالرجل الذي اعتاد أن يُكثر نساءه. ثمّ قال: «ليكن لكلّ امرأة رجلها». إذن، لا موضع للزنى في حياة المرأة. بدأ بولس فطلب من العنصر القويّ، ثمّ عاد إلى العنصر الضعيف.

في آ ٣، تحدّث بولس عن حقّ المرأة، وهل للمرأة من حقوق في عالم يسيطر عليه الذكر؟ لا حقوق للمرأة في العالم الساميّ الذي نعرفه. ففي العالم اليهوديّ الذي نعرفه اليوم، لا يحقّ للمرأة أن تطلبَ الطلاق مهما كان زوجها. ولا نقول عن عالم الأمس وما فيه من إجحاف في حقّ المرأة. ومع ذلك قال الرسول: «على الزوج أن يوفي امرأته حقّها». هذا ما يجب أن يعرفه الرجل لكي يكون عائشاً إيمانه، وإلاّ فهو لم يدخل بعدُ في منطق الإنجيل. وما طلبه الكتاب من الرجل، طلبه من المرأة: «كما على المرأة أن توفي زوجها حقّه».

وما ظلّ بولس على المستوى النظري، على مستوى الكلمات العامّة، على مثال قولنا: أنا أحبّ البشريّة... ولكن كيف أحبّ أخي في الواقع؟ هنا نتذكّر كلام يعقوب: ماذا ينفع أن أقول لأخي اذهب واستدفئ ولا أفعل شيئاً له؟ هنا بولس ينزل إلى المستوى العمليّ. ينزل إلى مستوى ممارسة الزواج بين الرجل والمرأة: «لا سلطة للمرأة على جسدها فهو لزوجها». أجل، لا يحقّ لها أن تمارس عمل الزواج مع غير زوجها. ففي الزواج لم يعد جسدها لها. فقد قدّمت ذاتها روحاً ونفساً وجسداً لشريك حياتها. وما يسري على المرأة يسري على الرجل. لا فرق بين الإثنين. فجسد الرجل ليس له يعطيه لمن يشاء. إنّ الزوج لا سلطة له على جسده، فهو لامرأته.

وهذه المساواة بين الرجل والمرأة هي أيضاً على مستوى الروح والحياة الدينيّة. حين نعرف أنّ العالم اليهوديّ لم يعرف لفظة «تقيّ» في المؤنّث، لأنّه اعتبر أنّ المرأة لا يمكن أن تكون تقيّة، بل التقوى خاصّة بالرجل. وحين نعرف أنّه لا يطلب من المرأة أن تحفظ الوصايا، لأنّ هذا يتجاوز قدرتها، نفهم كلام بولس الذي يقلب المفاهيم في أيّامه. نقرأ في ٧: ١٤: «المرأة غير المؤمنة تتقدّس بالزوج المؤمن»، حتّى وإن كانت وثنيّة.

النبيّ هوشع مع الزوجة جُومِرْ
(منمنمة من القرن الثالث عشر – الرابع عشر؛ بيبليا باسّيتّي [Bassetti]، تُرَانْتْ، إيطاليا)

هذا أمرٌ عاديّ! ولكن سبق بولس فقال: «الزوج غير المؤمن يتقدّس بامرأته المؤمنة». فالمرأة تكون بارة، شأنها شأن الرجل. أما هكذا كانت اليصابات؟ يقول الإنجيل عنها وعن زوجها: «كانا بارين أمام الله، يتبعان جميع وصاياه وأحكامه، ولا لوم عليهما» (لو ١: ٦). وحين يحدّثنا لوقا عن سمعان النبيّ الذي استقبل يسوع الآتي إلى الهيكل، لا ينسى أن يحدّثنا عن حنّة النبيّة: هي لا تفارق الهيكل متعبّدة بالصوم والصلاة ليلاً نهاراً. حضرت في تلك الساعة وحمدت الله وتحدّثت عن الطفل يسوع (لو ٢: ٣٧-٣٨). وماذا نقول عن مريم العذراء المباركة بين النساء، بل أجمل خلائق الله كلّها.

أجل، انطلق بولس الرسول من سؤال بسيط حول الممارسة الزوجيّة فقدم لنا تعليماً عن المساواة بين الرجل والمرأة في الحياة الزوجيّة. وسيقول لنا في خط يسوع المسيح وتعليمه (آ ١٠): لا تفارق المرأة زوجها، وإن فارقته، فلتبقَ بغير زواج أو فلتصالح زوجها. وعلى الزوج ألاّ يطلّق امرأته (آ ١١). ذاك هو أمر الربّ يردّده بولس في الكنائس التي أسّسها حول الطلاق الذي كان الزوج يمارسه لأتفه الأمور: يمارسه كما قالت بعض العوائد اليهوديّة إذا أحرقت الزوجة الحساء أو ما عادت تروق لزوجها.

٢- نداء إلى البتوليّة (٧: ٢٥-٣٥)

بعد هذا الكلام إلى الزوجين المسيحيّين، توجّه بولس إلى البتولين والبتولات، إلى الذين لم يتزوّجوا بعد، أو إلى امرأة تزوّجت وصارت أرملة. فالحياة في شركة مع الربّ تتيح للمؤمن وللمؤمنة اختيار زواج حقيقي، زواج أحادي (رجل وامرأة) مع تبادل تامّ،

واختيار البتوليّة الحقيقيّة مع جهوزيّة تامّة لخدمة الربّ. في هذا المجال يصبح الزوجان قويّين في علاقتهما مع الآخرين، وينال العازب (والعازبة) مكانته في مجتمع لم يكن يقدّر البتوليّة. وهكذا ارتفعت قيمة الزواج والزوجان، كما ارتفعت قيمة البتوليّة وحياة الشاب والشابة في هذه الحالة الجديدة التي هي درّة ثمينة في جبين الكنيسة.

أجل، في كلام بولس الرسول، لم يعد للزواج الطابع المطلق الذي كان له في الرؤية اليهوديّة التي شجبت كلّ رفض للإنجاب. بل جاء الرسول يقدّم للمسيحي البتوليّة التي يختارها في اتّحادٍ ناشط مع الربّ من أجل عائلة أوسع من العائلة الصغيرة التي نعرفها والتي تتألّف من رجلٍ وامرأة وبضعة أولاد.

«المرأة غير المتزوّجة والفتاة العذراء تهتمّان بما للربّ»
(تمثال لإلهةٍ فينيقيّة، مصدره عكّا)

في آ ٢٥، يبدأ بولس فيعطي نصيحة من عنده، لا أمراً من عند الربّ، إلى البتولين والبتولات، إلى غير المتزوّجين: «أعطي رأيي كرجلٍ جعلته رحمةُ الربّ موضع ثقة». وما هي هذه النصيحة العامّة؟ الحياة في البتوليّة. فإن تزوّج وجد مشقّة في هموم الحياة، والرسول يريد أن يعده عنها. إذن، ينتفع الإنسان إن هو لم يتزوّج. وما هي الأسباب؟

السبب الأوّل: صارت نهاية العالم قريبة. هنا يتذكّر بولس الضيق الحاضر ومجيء الدهر الآتي. فلا نزد ضيقاً على ضيق، ولا نجعل على نفوسنا رباطات جديدة واهتمامات حياة زوجيّة نحن بغنى عنها. وفي هذا الخط يدعو بولس حتى المتزوّجين أن يعيشوا نوعاً من العفّة. فلا تسيطر عليهم أمور الزواج. هذا ما يُسمّى في الكنيسة العفّة في الزواج على مثال العفّة في البتوليّة. أيظنّ الزوجان أنّ كلّ شيء مباح لهما؟ كلا. فقد يُفرض على الواحد وعلى الإثنين معاً لسبب من الأسباب، الامتناع عن الحياة الزوجيّة والممارسة الجنسيّة. عندئذٍ يعيش الرجل وكأن لا امرأة له. وتعيش المرأة وكأن لا زوج لها. يصبح الواحد والآخر وكأنّهما ليسا من هذا العالم فلا يتصرّفان كما يتصرّف أهل هذا العالم على مستوى المعاطاة الزوجيّة.

السبب الثاني: رضى الربّ. غير المتزوّج يهتمّ بأمور الربّ، كيف يرضي الربّ. والعذراء وغير المتزوّجة تهتمّان بأمور الرب فتنالان القداسة نفساً وجسداً. هنا نجد نفوسنا في خطّ أشعيا النبيّ الذي يتكلّم عن نسلٍ روحيّ في أورشليم. طوبى للعاقر التي لم تلد ولم تعرف أوجاع الولادة، وللمهجورة التي لا زوج لها. فأبناؤها أكثر من المرأة التي لا زوج لها (اش ٥٤: ١). وما يقال عن المرأة يقال عن الرجل. وما قيل عن أورشليم يُقال عن البتولات والبتولين.

في هذا المجال، يشفق بولس على المتزوّج: يهمّه أن يرضي امرأته، يكاد ينسى الربّ. ويشفق على المتزوّجة: تهتمّ بأمور العالم وكيف ترضي زوجها (آ ٣٤). ماذا يقول بولس لمثل هذا وتلك؟ أريدكم أن تخدموا الربّ بدون ارتباك. أجل، هذه الطريق ليست الطريق السهلة، ولن يتبع جميع الناس الرسول في ما يقدّم من خيار. بل يعتبر الكورنثيّون ما يقوله لهم هنا بأنّه فخ، بأنّه يحاول أن يعقّد الناس بشكلٍ اعتباطيّ. لا، ما يريده بولس هو خير المؤمنين.

ويخاف الرسول من سلطته الرسوليّة التي قد تفرض نفسها على من لا زوجة له، على من لا زوج لها، سواء تزوّجت وترمّلت، وقد يكون هذا وضع بولس كما يقول عدد من الشرّاح، سواء ما تزوّجت ويتقدّم إليها طالب زواج. إن كان لا بدّ من الزواج فليتزوّج الشاب ولا يخطأ. ولتتزوّج الفتاة (أو الأرملة)، فهي إن فعلت لا تخطأ. والمبدأ الأخير: من تزوّج حسناً فعل، ومن لا يتزوّج أحسن يفعل. وهكذا جعل البتوليّة أسمى من الزواج في نظرة عامّة ومطلقة، لا في حياة هذا أو ذاك؛ فالإنسان يبقى حرّاً في اختياره، وإن لم يضطرّه الأمر لسببٍ من الأسباب، فهو يستطيع أن يتزوّج أو لا يتزوّج.

٣- دعوة الإنسان إلى الحريّة (٧: ١٧-٢٤)

إنّ آ ١٧-٢٤ التي جُعلت بين سلسلتَين من التعليمات العمليّة والملموسة بدت وكأنّها ملحق لما قيل وضوء لما بعد.

نستطيع أن نحذفها فلا يتبدّل معنى ما قلنا عن الزواج وعن البتوليّة. وظيفة هذه الآيات لا تلفت النظر مع أنّ علاقتها بموضوعنا علاقة حقيقيّة، وهي تعطي الأساس للزواج والبتوليّة اللذين هما موضوع الفصل السابع في الرسالة الأولى إلى كورنتس.

قدّم الرسول أجوبة ملموسة، فأراح المؤمنين في الكنيسة حين أعطى قواعد محدّدة. ولكن «اللاهوتي» لا يكتفي بنصائح تتوقّف عند المستوى الرعائي. فما هو التحليل العميق لهذه الأسئلة التي طُرحت، وما هو الجواب الأساسي الذي يسند هذه الأجوبة الجزئيّة والمتعدّدة؟ أي ضوء يلقيه الرسول على أجوبته كي تعطي ملء معناها وكلّ حقيقتها؟ هناك سوء تفاهم خطير بين ما علّمه الرسول وما يشعر به المؤمنون في كورنتس. فكأنّي بهم يريدون أن يهربوا من حالتهم كبشر. يريدون أن يعيشوا «كملائكة» فيمتنعوا عن الزواج والحياة الزوجيّة. لهذا سوف يشرح لهم بولس أنّ الدعوة التي وصلت إليهم، قد أدركتهم في ظروف حياتهم وهي تدعوهم أن يكونوا لله في هذه الظروف عينها التي فيها سمعوا نداء الربّ. أأنت متزوّج، فابقَ على الزواج. أأنت غير متزوّج فلا تطلب امرأة. أجل، «على كلّ واحد أن يبقى مثلما كانت عليه حاله عندما دعاه الله» (آ ٢٠). هذا ما قاله في آ ١٧، وسوف يكرّره في آ ٢٤. أتُرى سيفهم الكورنثيّون؟

الكلمة المفتاح في هذا المقطع هي الدعوة. ماذا كان الواحد حين دعاه الله، حين ارتدّ إلى الإيمان المسيحي؟ وأعطى الرسول مثلَين: الأوّل على مستوى الختان. إن دُعيت وأنت يهودي، إذن وأنت مختون، فلا تحاول أن تُخفي ختانك. إن دُعيت وأنت يوناني، إذن غير مختون، فلا تختتن. فالختان لا يزيد شيئاً على الإيمان بيسوع وعلى الخلاص الذي نطلبه. وعدم الختان لا يُنقص شيئاً. المهمّ لا الختان أو عدم الختان، بل العمل بوصايا الله. ونقول الشيء عينه على مستوى الزواج والبتوليّة.

«لِيَبْقَ كلُّ واحدٍ منكم أمام الله مثلما كانت عليه الحال حين دعاه» (١ كو ٧: ٢٠)
(الموظّف الكبير كَا–تِپ مع زوجته حِتِفِرِسْ)
(منحوتة كلسيّة ملوّنة، من القرن الرابع والعشرين ق .م. المتحف البريطاني، لندن)

والمثَل الثاني الذي به يحاول الرسول أن يُفهم الكورنثيّين أنّ المهمّ هو الحالة التي كانوا فيها حين تلقّوا البشارة وجاؤوا إلى الربّ يسوع. هو مثَل العبوديّة والحريّة: «فعلى كلّ واحد أن يبقى مثلما كانت حاله عندما دعاه الله». وعاد بولس إلى العمق اللاهوتي: العبد حرّ في المسيح. والإنسان الحرّ عبد للمسيح. أما سمّى الرسول نفسه مراراً «عبد يسوع المسيح» في بداية رسائله؟ إن كنت عبداً فالمسيح قد افتداك، وإن كنت حرّاً فالمسيح قد افتداك. أجل، في المسيح، لا عبد ولا حرّ، بل الجميع واحد في المسيح، والمهمّ هو الخليقة الجديدة التي صرنا إليها.

وجاءت آ ٢١ في قراءتَين اثنتَين؛ أو: استفد من وضعِك كعبد، أو: اغتنم الفرصة كي تتحرّر. أما هذا الذي فعله أونسيموس حين هرب من عند فيلمون سيّده ومضى إلى بولس، إلى رومة، وهناك صار مسيحيّاً؟ أمّا نحن فنفهم هذه الآية كما يلي: إنّ قوّة الإنجيل تُتيح للإنسان أن يستفيد من الوضع الذي هو فيه كي يحوّله من الداخل. وهكذا لا نستطيع أن نقول إنّ بولس هو من المحافظين الذين قبلوا بالوضع الحاضر، وكأنّي به ما أراد للعبيد أن يتحرّروا. كما لا نقول إنّه أراد تبديل الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة. أما أفضل تفسير لهذه الآية فالرسالة إلى فيلمون حيث أعاد الرسول أونسيموس إلى سيّده ليخدمه كما من قبل، بعد أن صار مفيداً لبولس وفيلمون. هذا من جهة. ومن جهة ثانية، طلب الرسول من فيلمون أن يعامل عبده كأخ له. لقد، تحرّر أونسيموس بعد أن اشتراه بولس من فيلمون المديون للرسول بغير الفضّة والذهب.

إنّ نداء الربّ يدرك الإنسان حيث هو وكما هو. يبقى عليه أن يستفيد من النعمة التي نالها ويسير بموجب هذه النعمة. فمن تخيّل أنّه يريد أن يزداد قداسة وطهارة، فيقمع الحياة الجنسيّة عنده في الزواج، أو يحاول أن يمحوها فيه، أو يبدّل وضعه الاجتماعيّ، فهذا لم يفهم

شيئاً من نعمة دعوة الله، ومن الحريّة التي دُعي إليها حين دُعي إلى الإيمان. فالحال الخارجيّة لا تزيد شيئاً ولا تنقص شيئاً. أكان الإنسان مختوناً أو غير مختون، أكان يهوديّاً أم يونانيّاً، أكان عبداً أو حرّاً. أكان متزوّجاً أو عائشاً في البتوليّة. إنّ النعمة التي نلناها حين ربطنا حياتنا بالمسيح تحوّلنا من الداخل فتصبح حالنا حالاً مسيحيّة، حال يسوع المسيح الذي كان غنيّاً فافتقر ليغنينا بفقره، الذي هو الله فصار إنساناً ليجعل منّا أبناء الله.

خاتمة

ذاك هو غنى هذا الفصل من الرسالة الأولى إلى كورنتس، وفيه يجيب بولس عن أسئلة محدّدة طرحها عليه الكورنثيّون. لسنا هنا أمام مقال كامل حول الزواج والبتوليّة. بل أمام ملاحظات وتعليمات تتوجّه إلى أشخاص متزوّجين، إلى البتولين والبتولات، إلى الخطّاب وإلى الأرامل. أمّا المبدأ العامّ الذي يُشرف على هذه الحلول المختلفة، فنجده في قلب الفصل الذي يحدّثنا عن حريّة الاختيار بنعمة الله: ليبقَ كلُّ واحدٍ منكم أمام الله مثلما كانت عليه الحال حين دعاه.

«الرجل غير المؤمن يتقدّس بامرأته، والمرأة غير المؤمنة تتقدّس برجلها» (١ كو ٧:١٤)
(الفرعون تُوتْ عَنْخْ أمُوْن مع زوجته أنْخِسنَبّا أتُونْ)

(صورة من زينة عاجيّة مصدرها مثوى توت عنخ أمون في طيبة، مصر، من القرن الرابع عشر ق.م.، المتحف الوطني، مصر)

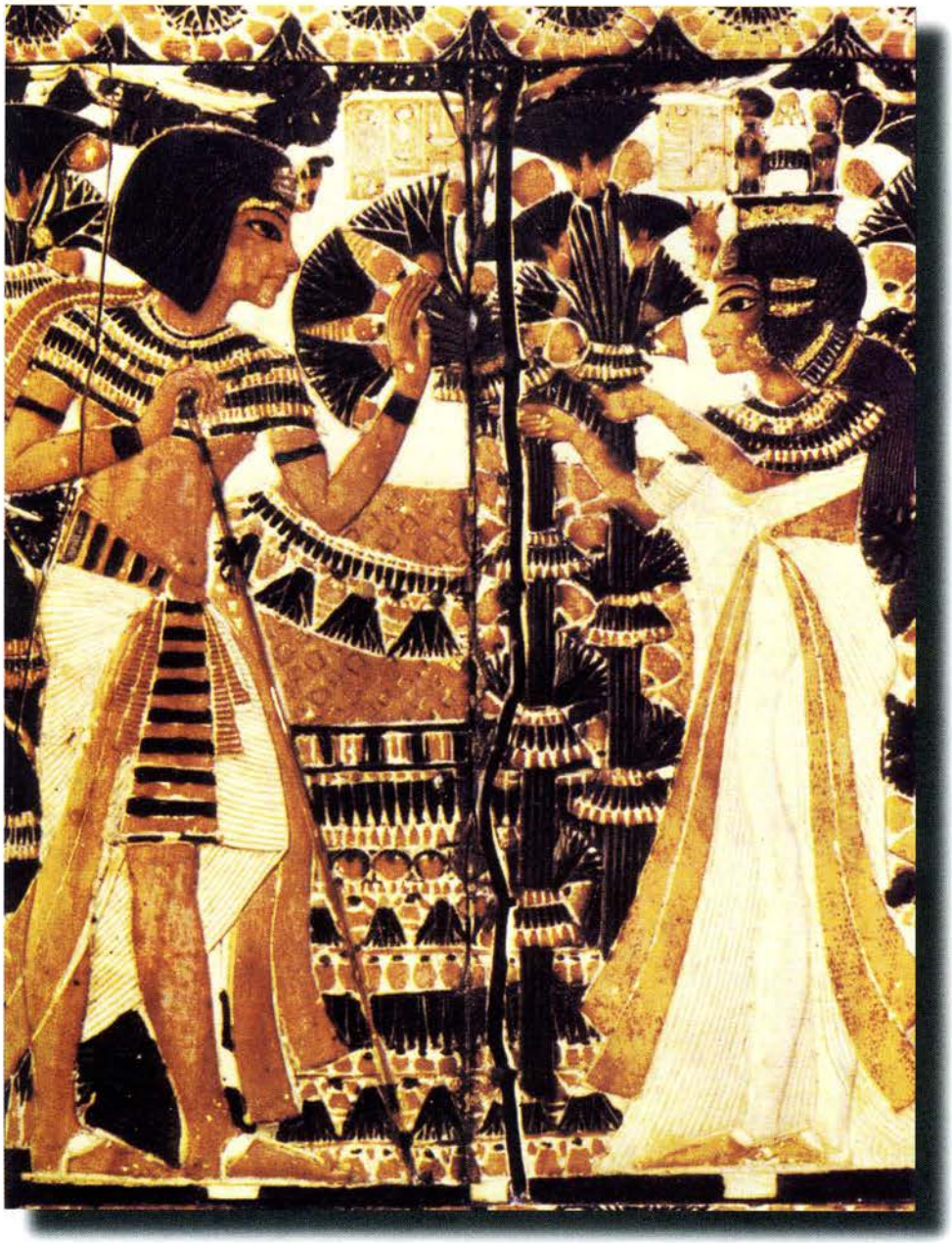

وهكذا توجّه بولس إلى جماعة مسيحيّة خارجة من العالم الوثني، فحاول أن يرفعها إلى قمّة العالم المسيحي، سواء على مستوى الزواج والحياة الزوجيّة، وسواء على مستوى الحياة في البتوليّة. وتعليمه ما زال حيّاً إلى اليوم لأنّ مجتمعنا أبعد ما يكون عن مساواة بين الرجل والمرأة وعن تقدير للبتوليّة حقّ قدرها وللعفّة في الزواج.

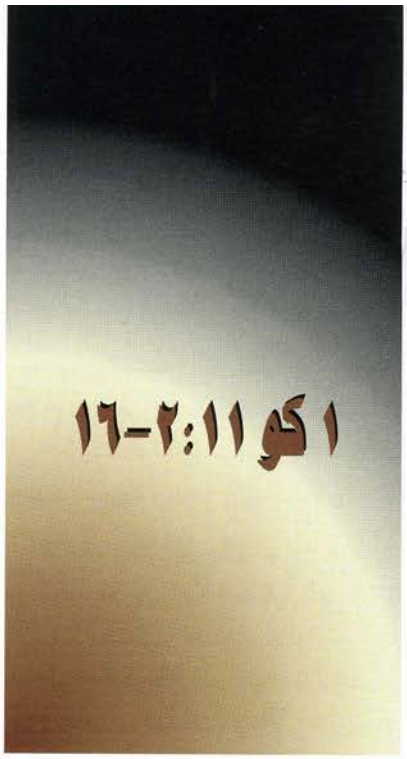

١ كو ١١:٢-١٦

المرأة والرجل أمام الربّ

ماري عطالله خليفة

مشاكل كثيرة اعترضت حياة الجماعة المسيحيّة الأولى في كورنتس، ووصلت أخبارها إلى بولس، فكان عليه التصدّي لها ومعالجتها للمحافظة على هذه الكنيسة. وكان وضع المرأة والرجل في الاجتماعات الليتورجيّة والرسميّة إحدى هذه المشاكل.

كانت العادة قديمًا عند اليونانيّين تقضي بأن تظهر المرأة في الأماكن العامّة مغطاة الرأس، والرجل مشكوف الرأس، وهذا الغطاء يدلّ على تبعية المرأة للرجل، بسبب عدم إرادة الرجل التخلّي عن سلطته المطلقة في المجتمع وبالمقابل عدم وعي الكثير من النساء لدورهنّ في المجتمع ولكونهنّ إنسانًا على صورة الله، كالرجل عليه نفس الواجبات وله نفس الحقوق. وبما أنّ أغلبيّة كنيسة كورنتس هي من أصل وثني، فقد كانت هذه العادة من تقاليد البلد. وحتّى بالنسبة إلى الأقليّة التي هي من أصل يهودي، لم يكن للمرأة مكان في الخدمة الليتورجيّة اليهوديّة، كما أنّها كانت تعتبر ملك الرجل وتابعة له كأملاكه وماشيته. ويعتبر الربّينيون أنّ المرأة التي تقص شعرها تهين صورة الله، كذلك الرجل الذي يطيل شعره. أمّا المرأة المكشوفة الرأس فتعتبر بغيّاً.

لقد رفع المسيح من مستوى المرأة، فاهتمّ بها، وعاملها ككائن يتمتّع بالكرامة البشريّة الكاملة، مساوٍ للرجل، ومخلوق مثله على صورة الله، فاستفادت المؤمنات في كورنتس من نظرة المسيح هذه،وأخذن يتحرّرن شيئًا فشيئًا من بعض العادات الاجتماعيّة، ومنها الاشتراك في الاحتفالات الليتورجيّة كاشفات الرأس. ولكن يبدو أنّ هذا التصرّف خلق شكًا وبلبلة في كنيسة كورنتس، فاحتكمت إلى مار بولس مؤسّسها، ممّا اضطرّه إلى التدخّل وتنظيم الأمر في هذا المقطع (١١:٢-١٦) من الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين؛ فبعد أن مدحهم لحفاظهم على التقاليد التي سلّمها إليهم (آ ٢)، استفاض في معالجة أمر خروج المرأة عليها، وهذا يدلّ على شيء من السخرية. لقد فرض بولس على المرأة أن تحافظ على التقاليد الليتورجيّة، وبالتالي أن تغطّي رأسها، حاسمًا بذلك الجدل بين مؤمني كورنتس، معللاً وجهة نظره ببراهين ثلاثة: كتابي، وطبيعي، وتنطيمي.

فالكتابي هو مبدأ أساسي بالنسبة إليه في تنظيم الجماعة المسيحيّة، ومفاده أنّ الله الآب هو رأسٌ للمسيح، والمسيح رأسٌ للرجل، والرجل رأسٌ للمرأة (آ ٣)، وكلّ واحدٍ هو صورة ومجد لرأسه. هنا تطرأ أمامنا مشكلة لاهوتيّة. فلو كان المسيح رأسًا للكنيسة، كما هي الحال في الرسالة إلى أهل أفسس، لكان الأمر واضحًا، لأنّ الكنيسة هي جسد المسيح السرّي. ولكن أن يكون المسيح رأس الرجل فقط، وليس رأس المسيحي أو الإنسان بالمطلق، فهذا يدعو إلى التساؤل: كيف ولماذا؟

نعلم أنّ الخلق تمّ بيسوع المسيح، كما جاء في مقدّمة إنجيل يوحنّا. ولكن بولس يرتكز هنا على الرواية الثانية للخلق (تك ٢:٤ب-٢٥) التي تقول بأنّ الله أخذ ضلعًا من الرجل وبه صنع المرأة عونًا له، وهذا ما يردّده في الآيتين ٨ و٩. وبما أنّ الرجل خُلق مباشرةً على صورة الله، عليه أن لا يغطّي رأسه الذي يعكس بطريقة ما السلطة الملكيّة لخالقه، بينما المرأة تمثّل الله بطريقة غير مباشرة لأنّها صنعت على مثال الرجل؛ من هنا يأتي التدرّج الذي ذكره

بولس في الآية ٣. ولكن يبقى السؤال: لماذا عليها أن تغطّي رأسها؟ إذا كانت المرأة قد أخذت من الرجل، فالرجل أيضًا يأتي من المرأة بالولادة، وهكذا يكونان متساويَين أمام الله. وإذا أخذنا تك ٢:١٦-١٧ حيث أمر الله الإنسان بأن يأكل من جميع أشجار الجنّة ما عدا شجرة معرفة الخير والشرّ، ولم يكن قد خلق المرأة بعد، وقارنّاها مع تك ٣:١ حيث قالت الحيّة للمرأة: «أيقينًا قال الله: لا تأكلا..؟»، نجد أنّ كلمة «إنسان» تعني الرجل والمرأة وليس واحدًا دون الآخر، وإلاّ فلماذا يعاقب الله المرأة على شيء لم يُنهِها عنه؟ وفي تك ٢:٢٤، «يترك الرجلُ أباه وأمّه ويلزم امرأته»، وهو تعبير واضح على أنّ المرأة ليست تابعة للرجل، وإلاّ لماذا عليه ترك كلّ شيء ليلزمها؟ فهما إذًا متساويان أمام الله. ولا يجوز أن ننسى الرواية الأولى للخلق (تك ١:١-٢:٤أ)، حيث جاء: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: أنموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها...» (آ ٢٧ و٢٨)؛ هذا يعني أنّ الله خلق الرجل والمرأة معًا، وأعطى البركة للاثنين معًا، ومعًا يكوّنان الإنسان الذي هو على صورة الله، ومعًا يتّجهان صوب الله ويكونان معًا مجده. ويسوع في تعاطيه مع المرأة عبّر عن هذا المفهوم.

ويرى بولس في الآيتين ٥ و٦ أن لا فرق بين المرأة المكشوفة الرأس وبين تلك التي قصّت شعرها أو حلقته، الأمر الذي كان يُعدّ عيبًا في ذلك الزمان، لأنّ إرخاء الشعر كان من ميزات الأنوثة، ولم تكن المرأة ترضى بقصّ شعرها. ولكن هذه مظاهر خارجيّة تتغيّر مع الزمن؛ فماذا نقول اليوم في عصرٍ أصبحت المرأة فيه تعمل إلى جانب الرجل، وأصبحت عادة تقصير الشعر رائجة، وتعتمدها نساء كثيرات؟ ويبقى السؤال كيف توصّل بولس إلى هذه المعادلة وهذا الاستنتاج؟

يشدّد في الآية ١٠ على واجب أن تغطّي المرأة رأسها من أجل الملائكة. لماذا؟ بولس يتكلّم على احترام حضور الله في وسط الجماعة المصلّية، والملائكة هم رمز لحضور الله. وربّما تذكّر بولس بداية الفصل السادس من سفر التكوين، كيف أن «بني الله» استحسنوا بنات الناس، فيكون بالتالي غطاء الرأس حاجزًا يحول دون اشتهاء «الملائكة» للمرأة! وهنا لا بدّ من العودة إلى تفاسير سفر التكوين لفهم هذه التسمية.

أمّا في الآيتين ١١ و١٢ فيحاول بولس إصلاح ما سبق، إذ يعلن المساواة في الربّ بين المرأة والرجل، كما أعلن ذلك في غل ٣:٢٨، حيث المرأة والرجل متضامنان في حياة النّعمة، ولا وجود لأحدهما بدون الآخر، وفي ١ كو ٧ حيث المرأة والرجل متساويان في الواجبات والحقوق.

وفي الآية ١٣ يعود بولس إلى السؤال والتساؤل حول تغطية المرأة لرأسها. ثمّ يقدّم على ذلك برهانًا طبيعيًا مفاده أنّ الطبيعة أعطت المرأة شعرًا وهو ستر لها إذا كان مرخىً (آ ١٤ و١٥). ولكن إذا كانت الطبيعة قد وهبت المرأة سترًا بشعرها، فلماذا الغطاء على الرأس؟ أم نعتبر هذا علامةً من الطبيعة لتغطّي المرأة رأسها؟

وفي الآية ١٦ يقدّم بولس البرهان الأخير، فيختم نقاشه بطريقة قاطعة، لا جدل في ما قاله، ويجب اتباع التنظيم الذي يعتمده في كلّ الكنائس.

إنّه لمن المنطقي أن يعطي بولس حلاً يتلاءم مع عصره ليمنع الشكّ والانشقاق في الكنيسة، ولكن البراهين والتعليلات جاءت ضعيفة وتدعو إلى التساؤل.

لقد تخطّى الربّ يسوع العادات والتقاليد الاجتماعيّة والدينيّة التي تنظر إلى المرأة نظرة احتقار، لأنّها تعتبرها نجسة ومن طبقة دنيا، فاتّخذ له صديقات ورفيقات، وناقش مواضيع دينيّة مع يهوديات، رغم الحظر عليهنّ بدراسة التوراة، وتخطّى محرّم (tabou) الدمّ، فشفى المنزوفة ونوّه بإيمانها الكبير، وخرق، في لقائه السامريّة على البئر، محرّمَين: التكلّم علنًا مع امرأة، والتكلّم مع سامريّين. تصرّف يسوع مع النساء كما تصرّف مع سائر الفئات المظلومة والمضطَّهَدَة والمهَمَّشة، فأعطى تعليمًا جديدًا، وخلق تقليدًا جديدًا يختلف جذريًّا عمّا قبله. وبقي هذا التقليد في الجماعات المسيحيّة الأولى حيث لعبت المرأة دورًا فعّالاً في الخِدَم المختلفة. هذا الدور تقلّص تدريجيًّا، لاسيّما عندما وعت الكنيسة أن مجيء الربّ ليس وشيكًا، فنسيت أو تناست المساواة اللاهوتيّة التي كرّسها المسيح والقيود التي خلّعها، وتكيّف مع تقاليد المجتمعات اليهوديّة والهلّينية. واليوم ومع المجمع الفاتيكاني الثاني وبعده تحاول الكنيسة أن تعيد للمرأة كرامتها كاملة والدور الذي أعطاه لها يسوع.

١ كو ١١:٢-١٦: مراجع

- ALLO E. B., *St Paul: 1ère épître aux Corinthiens*, Études Bibliques, Gabalda et Cie, 1956.
- BECCARIA M. J. et autres, *Les femmes ont-elles leur place dans l'Église?* Le poids du jour, Centurion, 1967.
- BECKER Jürgen, *Paul, l'apôtre des nations*, Médias Paul, Cerf, 1995.
- CANTINAT Jean, *Les épîtres de St. Paul expliquées*, Le Coffre fils, Paris, 1960.
- CARR Anne, *La femme dans l'Église,* Tradition chrétienne et théologie féministe. Cogitatio fidei 173; Cerf, Paris, 1993.
- CARREZ Maurice, *La 1ère épître aux Corinthiens*, Cahiers Évangile 66, service biblique Évangile et vie, Cerf, 1988.
- CERFAUX L., *La théologie de l'Église suivant St. Paul*, Unam Sanctam 54; Cerf, Paris, 1965.
- DRANE John, *St. Paul, sa vie son œuvre*, DAB, Le Centurion, 1981.
- HAULOTTE Edgar, *Symbole du vêtement selon la Bible*, Théologie 65, Aubier, Montaigne, 1966.
- HERING Jean, *La 1ère épître de St. Paul aux Corinthiens*, Commentaire du NT 7, Neuchâtel, Delachaux et Niestlé, 1959.
- HOLZNER J., *Paul de Tarse*, Alsatia, Paris, 1950.
- PAILLARD J., *Règlement de comptes avec St. Paul*, Lire la Bible/19, Cerf, 1969.
- PART F., *La théologie de St Paul, présentée par J. Daniélou*, Bibliothèque de théologie historique, Beauchesne et ses fils, Paris, 1961.
- SENFT Christophe, *La 1ère épître de St. Paul aux Corinthiens*, Commentaire du N.T., 2ème série, 7, Labor et Fides, 1990.

– الفغالي الخوري بولس، رسالة القدّيس بولس الأولى إلى أهل كورنتس، كلام الله ١، منشورات الرسل ١٩٩٣.

– الكتاب المقدّس، العهد الجديد، كلّية اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس– الكسليك، ١٩٩٢.

– الكتاب المقدّس، أنا الألف والياء، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩.

«المرأة والرجل أمام الربّ»!

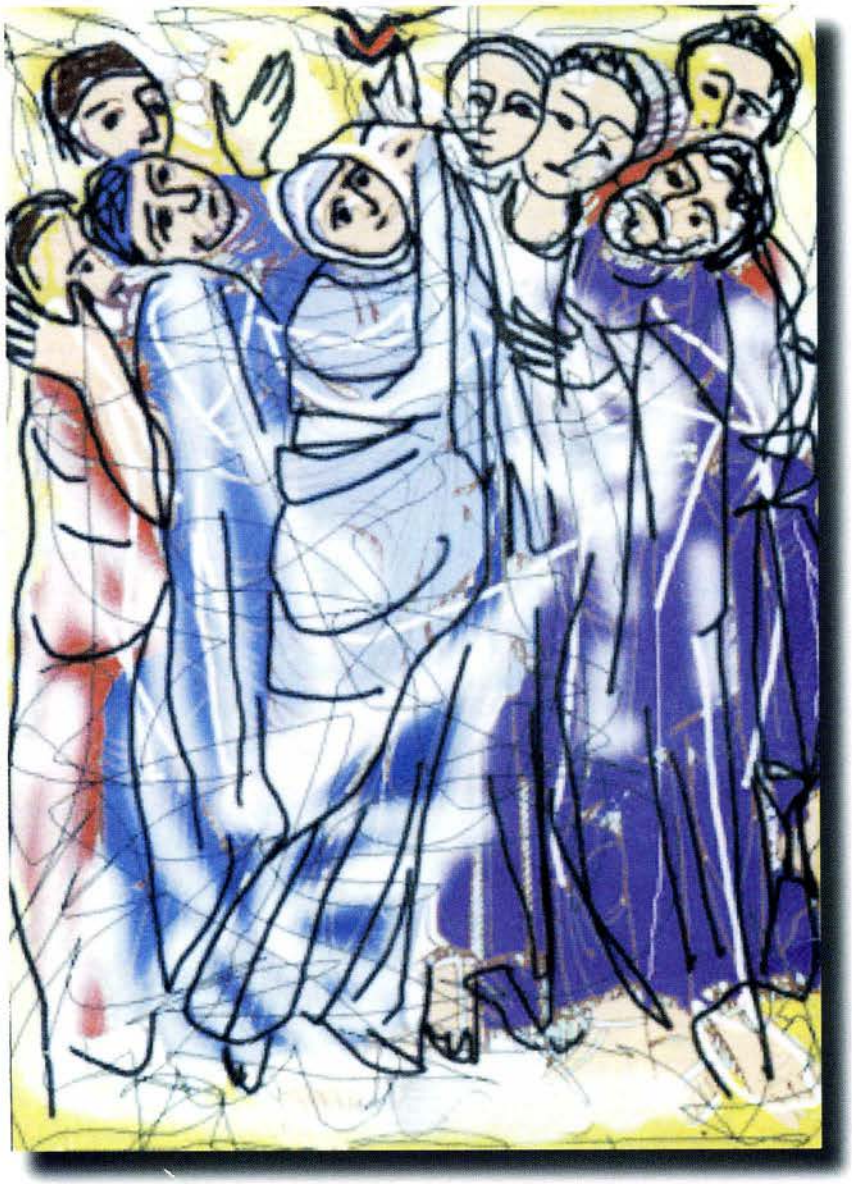

نشيد المحبّة (١ كو ١٣)[١]

أ. أيّوب شهوان

١) مقدمة

١ كو ١٣ «هو أحد أسمى نصوص الكتاب المقدس. ترتقي عظمة فكر بولس وزخم تعبيره بهذا النص النثري الى مستوى السموّ الشعري»[٢]؛ فهو يشبه التطويبات من حيث صداه في القلوب. إنّه نشيدٌ «للمحبة»، لا بل «نشيد أناشيد» المحبة المسيحية، الذي يُبرزُ وحدتَه مضمونُه، كما أيضاً إيقاعُ النصّ بالذات. بالمحبة يدلّ الرسول على «الطريق الأفضل»: «وإني لَمُرِيكم طريقاً أفضل» (١ كو ١٢:١٣)، واضعاً في الواجهةِ ميزةَ المسيحيّةِ الأساسيّة. لم يحدّد بولس أيّاً من عناصر الحياة المسيحيّة بهذه الدقّة والعناية، وبتواصل مع معطيات العهد القديم، حيث يبدو العيش في العهد وكأنّه سَيرٌ مع اللّه وفي طُرقه. يصف الرسولُ الحياةَ المسيحيّة، عندما يتكلّم على «الطريق الأفضل»، أنّها سيرٌ على الدرب التي هي «المحبّة».

في ذروة كلّ المواهب، لا بل قِبلَتُها التي إليها كلّ هذه هي مصوَّبَةٌ، يضع الرسول «المحبّة». لها يكرّس واحدة من الصفحات الأكثر شهرة في مجمل رسائله. هو نصّ له منحى نشيد، وكثافة وجدانيّة وصوفيّة.

يبدأ بولس برَسم صورة الانسان المُشبَع من كلّ موهبة بشريّة وروحيّة، ولكنّه، بالمقابل، هو خال من المحبّة. إذا كانت موهبة اللّغات، والنبوءة، والمعرفة، والإيمان، والكَرَم البطولي، والانسلاخ عن الخيرات، خالية من روح المحبّة، فإنّها تبقى أموراً خارجيّة، بَاردة، لا تَلِد سوى تمجيد للذات وحركات تمثيليّة، فلا تخلّص ولا تُحْيِي[٣].

يمدح نشيدُ المحبّة – وهو روح الوجود المسيحيّ – الفضائلَ التي تشبه موكباً يرافق «المحبّة»، وهي: الصبر، طول الأناة، الصلاح، الدّعة، التجرّد، الكرم، الاحترام، اللّطف، المسامحة، العدل، الحقّ، الثبات، الرجاء، الخ. إذا ما انطفأت المحبّة، فإنّ هذه الفضائل، أيضاً ستنكسف. سيتمزّق عندها الأفق الذي إليه المحبّة مشدودة، أفق الشركة التّامّة مع اللّه في اللّقيا الأخيرة. عندما يسقط ما هو ناقص، كما المسافات أيضاً، لن تكون الرؤية عندها بالواسطة وغير أكيدة، بل ستتفعّل بالتمام، «وجهاً لوجه». في هذا الأفق تثبت الفضائل الثلاثة «اللاّهوتيّة» الأسمى، أي الإيمان، والرجاء، والمحبّة، ولكن على رأسها تسطعُ المحبّة بأنوارها، هي التي إليها ينبغي أن يوجّه المسيحي ناظرَيه وكلّ قواه.

يعود الرسول عند هذه النقطة إلى حديثه على مواهب الروح العديدة التي تُغني الجماعة المسيحيّة، مشدّداً على وظيفتها في الكنيسة. المقياس الأساسي لتثبيت قيمة هذه المواهب وتسلسلها هو بنيان الجماعة بكاملها[٤].

٢) هل ١ كو ١٣ هو نصٌّ دخيل أم أنه في مكانه؟

انطلاقاً من أنّ أسلوب ١ كو الإنشائي،

١- Paul de Surgy & Maurice Carrez, *Les écrits de Paul. 1 Cor* (Bayard-Centurion 1996).

٢- Ravasi, *Lettere apostoliche e Apocalisse* (éd. Paoline: Milano 1990) 74ss.

٣- "The First Letter to the Corinthians", in *The Jerome Biblical Commentary*, 51:78, pp. 271 ff.

٤- المرجع السابق نفسه.

صورة «الرجاء» للفنّان نقولا غراسّي
(القرن الثامن عشر)

بضمير المتكلّم المفرد «أنا»، والجمع «نحن»، وطابعه الإيقاعي، والآيتَين الانتقاليتَين في ١٢:٣١ و١٤:١، وعدم ورود كلمة «محبّة» في الفصلَين ١٢ و١٤، باستثناء ١٤:١أ التي تُشكّل آية انتقالية، وأخيراً كون عرض بولس كان يمكن أن يتتابع مباشرة من الفصل ١٢ إلى الفصل ١٤، كلّ هذا يجعل محتملاً الفرضيّة بأن ١ كو ١٣ قد وُجد أوّلاً منفصلاً، ثم أُضيفَ على النص، ولكن هذا الأمر ما زال موضوع بحث ونقاش. مع هذا، فإنّ تضمينه في الرسالة، إذا ما اعتبرنا أن هناك تضميناً، يُعطي عَرْض بولس قوّةً فريدةً.

إذا كانت أصالة ١ كو ١٣ البولُسيَّةُ قد وُضِعَت موضعَ شكّ، فإنّ هذا الفصل، بالمقابل، هو موضوع تساؤل كبير. البعض يعتبره وكأنه استطراد، أو أنه في غير محلّه، كونه يقطع مسار الفكرة بين الفصلين ١٢ و١٤. لكن الدراسات البلاغية تعارض هذا الرأي، وتبيّن أنّ «تدبير» المحبة يدخل وكأنه استطراد في قلب القسم الذي يتضمّن البرهان، ويتماشى بالتالي مع قواعد البلاغة القديمة[٥].

بمعزل عن الدراسات البلاغية، وحتى قبل أن تُوَظَّف هذه الأخيرة في هذا المجال، كان بالإمكان من خلال دراسة تاريخية–نقدية للفصل ١٣، وللآيَتَين الانتقاليتين، ١٢:١٣ و١٤:١، التأكد من أنّ هذا الفصل هو متجذّر بقوّة في إطاره الحالي[٦].

٣) دوافع كتابة ١ كو ١٣

هناك سببان وراء كتابة هذا النشيد، يمكن إبرازهما، وهما :

– من جهة أولى، في مواجهة التوتّرات والانقسامات التي ليست دون مخاطر على وحدة جماعة كورنتس، يرشد بولس إلى طريق الوحدة، وإلى القوّة القادرة على تحقيقها : إنها «المحبّة» المسيحيّة، المحبّة في إثر المسيح.

– من جهّة ثانية، في مواجهة شغف بعض المسيحيّين بالمواهب، شغف ممزوج بالادّعاء، وفي مواجهة مسألة كيفية ممارسة النبوءة، والتكلّم باللّسان بطريقة موضوعيّة في جماعة الصلاة، يتّخذ بولس موقفاً واضحاً إلى أقصى حدّ بالنسبة إلى القيم الدينيّة. فهو، إذ يضع ذاته في خطّ تعليم يسوع حول الوصيّة الجديدة، يؤكّد على أولويّة «المحبّة» على كلّ قيمة أخرى. إنّه موقف يقلب سلّم القِيم لدى بعض الكورنثيّين، ويُعطي للمحبّة، وهي القيمة المسيحيّة الأعظم، المكان المميز.

٤) النوع الأدبي

لدى قراءتنا نشيد المحبة، نتبيّن بسهولة، ومنذ البداية، أننا نقرأ مقطوعة نثرية، ولكن لها من لون الشعر ووقعه الكثير. فالمقاطع ذات إيقاع يُسبغُ على النشيد الأجمل ما يليق به من السموّ الأدبي؛ فكأنك أمام روائع نحتتها يدٌ ماهرة لها من يد الله المبدع لمسةٌ، ومن سِرّه الخلاّق همسةٌ! التعارض بين الحقائق المدرجة حادٌّ وقاطعٌ، لأن كلمة الله لا تقبل الفتورَ ولا الوسطَ من الحلول، بل الخيار الجازم والأصولي في كل شيء، كما المحبة!

يرى العديد من البحاثة أن كلمة «نشيد» غير قابلة للتطبيق على ١ كو ١٣ الذي يختلف كثيراً عن أناشيد العهد الجديد المعروفة، ذات المضمون الكريستولوجي والصيغة الموازية. كثيرون اعتبروه إضافة لاحقة على الرسالة، كون الجزء الأول من ١٢:٣١ يتلاقى جيداً مع الجزء الثاني من ١٤:١، كما ورد أعلاه. كان تفكير بولس الأصلي إذاً هو أنّ الكورنثيين لم يكونوا يسعون في إثر موهبة دنيا، كالإلمام باللغات، بل بالأحرى موهبة سميا، كالنبوءة مثلاً. بالرغم من هذا، فقد فكّر في موهبة ينبغي أن يسعوا في إثرها، تجعل حتّى النبوءة بلا معنى، بالمقارنة مع المحبة.

٥– C. Focant, *The Corinthian Correspondance* (BETL, CXXV, Leuven 1996) 199ss.
٦– المرجع نفسه.

على خلاف الشكل الأسمى من الحبّ البشري حيث يسعى الإنسان في إثر الكمال الشخصي في مجال ما هو نبيل وروحي، تأتي «المحبة» إلينا من الله بالمسيح يسوع. لا دوافع لها، وهي خلاّقة، ولا تسعى في إثر شيء، ولا تجذبها الخيرات، كمحة الله لنا.

٥) قراءة لغوية بلاغية[٧]

تستند دراسة النصوص البيبلية أكثر فأكثر على المعطيات الأدبية والبلاغية الخاصة باللغة التي بها دُوِّنَ النص المقدس، وذلك لفهم وقع الكلمة على حقيقته، وبالأسلوب الذي اختاره الكاتب الملهم لنقل كلمة الخلاص. إن اكتشاف المعاني الجديدة، وتصحيح بعض ما صار منها خطأً شائعاً، وإظهار مرمى الرسالة المخبوءة وراء الحرف، هو من نتائج العمل المضني الذي قام ويقوم به أناسٌ درسوا الآداب العبرية واليونانية، أولاً، ثم الفينيقية والمصرية وتلك التي من بلاد ما بين النهرين، ثانياً، فقارنوا وأبرزوا، واستوضحوا وأوضحوا، وأخرجوا واستخرجوا، فزادوا وازدادوا، وتمجد الله.

قد لا يستسيغُ هذه الملاحظاتِ القارئُ الساعي وراء الفكرة أو العبرة اللاهوتية والروحية، خاصة وإذا كان على عجلة من أمره؛ لكن ما نسعى إليه، عبر إدخال الوسائل التفسيرية الموضوعية والعلمية واستعمالها، هو الاقتداء بآباء كنائسنا، الذين تركوا لنا الآثار البيبلية العظيمة بفضل علمهم وقداستهم، وبعلماء عصرنا الذين يسهمون بشكل منقطع النظير في إعلاء شأن كلمة الله بين الناس.

انطلاقاً مما تقدم، نورد في ما يلي بعض الملاحظات التي توقظ، لدى الباحث والمتأمل، الفضول المغني والمُعلي إلى حيث ينبوع الحياة والنور والمحبة.

٥/١) النقل: «الناس والملائكة» (١كو ١٣: ١)

هو وضع كلمة ما خارجاً عن مكانها المعتاد في الجملة. تُدعَى هذه الصورة «نقلاً»، لأنها تضَع كلماتِ جملةٍ ما في غير مكانها الغرامطيقي الطبيعي والمعتاد في هذه الجملة. مثلاً: «لو كنت أنطق بألسنة الناس والملائكة» (١كو ١٣: ١). فالملائكة لا ألسنة لها، ولا يمكن إدراجها في مصاف الناس، ولا العكس أيضاً! كما نلاحظ، يضع هذا الأسلوبُ الأدبيُّ جنباً إلى جنب الكلماتِ بطريقةٍ متضادّة الواحدة مع الأخرى، أو مختلفة عن الترتيب المعتاد، كما في ١كو ١٣: ١، حيث لدينا «الناس والملائكة»، الواحد في مقابل الآخر.

٥/٢) المَثَل: «نقل الجبال» (١كو ١٣: ٢)

كان «نقل الجبال» (١ كو ١٣: ٢؛ رج متّى ٢١: ٢١) واحداً من الأمثلة العبريّة المُعبِّرَة. فلقد كان من الشائع القول عن معلّم عظيم أنّه «يقتلع الجبال»[٨]. وهكذا، ما قالوه هم بطريقة غير عاقلة على التعلّم من أحكم رجالهم، قاله يسوع على أكثر تلاميذه تواضعاً: «إن كنتم تؤمنون ولا تشكّون، تفعلوا بالتينة ما فعلتُ، بل إن تقولوا لهذا الجبل: انقلع، وارتمِ في البحرِ، يكن ذاك» (متّى ٢١: ٢١).

في ١كو ١٣: ٢، المعرفة والايمان يندرجان في إطار هذا المثل: «ولو كانت لي نبوءة، وكنت أعلم الأسرار كلها، والمعرفة كلها، ولو كان لي الإيمان كله حتّى أنقل جبالاً...»

«كلّ»

غالباً ما تعني كلمة «كلّ» أعلى درجة أو أفضل نوعيّة لدى ما تُقال عليه: «ولو ... كنت أعلم الأسرار كلها، والمعرفة كلها، ولو كان لي الإيمان كله ...»

٥/٣) الافتراضات المضخمة (١كو ١٣: ١-٣)

في هذه الآيات الثلاث، هناك الكثير من الافتراضات الموسَّعَة إلى حدِّ التضخيم غير الواقعي، تهدف إلى الدلالة على عظمة محبّة الله المُفاضة في القلب بالروح القدس:

«لو كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة...

ولو كانت لي نبوءة، وكنت أعلم

صورة «الإيمان» للفنّان جوفاني أنطونيو بللغريني (القرن الثامن عشر)

٧- رج خاصّة BULLINGER, *Figures of Speech Used in the Bible* (Baker Book House: Michigan 1993)

٨- أنظر Bab. *Berachoth fol* 64.1; *Erubim*, fol. 29.1; *Sanhedrin*, fol. 24.1; *Baba Bathra*, fol. 3.2.

الأسرار كلها، والمعرفة كلها، ولو كان لي الإيمان كله حتّى أنقل جبالاً...

ولو أطعمت كل ما أملك، ولو سلمت جسدي لأُحرق...»

٤/٥) التكرار بهدف التركيز (١كو ١٣: ٤)

يهدف تكرار ذات الكلمة، في بداية الجُمَل المتتالية، إلى إضافةُ ثقلٍ نوعي، أو إلى التشديد على التصريحات والحِجَج المُقَدَّمَة، من خلال الدعوة إلى إعارة انتباه خاص إلى هذه الأخيرة. يكثر استعمال هذه الصورة في البيبليا، كي تضفي أهميّة كبيرة على العديد من التصريحات العلنيّة؛ مثلاً، في تث ٢٨: ٣-٦:

«فتكون مباركاً في المدينة، ومباركاً في البرية (آ٣).

مباركاً يكون ثمرُ بطنك، وثمرُ أرضكَ، وثمرُ بهائمكَ، ونتاجُ بقرِكَ وغنمكَ (آ٤).

مباركةً سلتُكَ ومعجنكَ (آ٥).

ومباركٌ تكون أنتَ في دخولك، ومباركاً في خروجك» (آ٦).

أما في تث ٢٨: ١٦-١٩، فنجد كلمة «ملعون» تتكرّر، مقابل كلمة «مبارك» التي سلفت:

«ملعوناً تكونُ في المدينة، وملعوناً في البرية (آ١٦).

وتكون ملعونةً سلتُكَ ومعجنكَ (آ١٧).

وملعوناً ثمرُ بطنك، وثمرُ أرضكَ، وثمرُ بهائمكَ، ونتاجُ بقرِكَ وغنمكَ (آ١٨).

وتكون ملعوناً أنتَ في دخولك، وملعوناً في خروجك» (آ١٩).

في الآيات الثلاث الأولى من ١ كو ١٣، لدينا تكرار لاستعمال أدوات العطف[٩]. أما في آ ٤-٧ فلدينا دمج لصورتين: «دون أدوات عطف»، من جهة، وتكرار كلمة «محبّة» (آ ٤)، من جهة ثانية: «المحبة تتأنى، المحبة ترفق، ولا تحسد، ولا تتباهى، ولا تنتفخ».

في آ ٧، ترتيب الكلمات - طبعاً في النص اليوناني - هو مبني على كلمة «محبّة» ومُرتَبِطٌ بها:

«تحتمل كلّ شيء،

تصدّق كلّ شيء،

ترجو كلّ شيء،

تعاني كلّ شيء»

٥/٥) تشخيص المحبّة

التشخيص هو صورة تُبرَزُ بواسطتها الأشياء، أو يُتكلَّم عليها وكأنّها أشخاص، أو يُنسَبُ بها الذكاءَ - بالكلمات أو الأفعال - إلى أشياء جامدة، أو إلى أفكار مجرّدة.

تُستعمل هذه الصورة، عندما يجري الكلام على صورة أخرى غير حاضرة، أو عليها بالذات وكأنّها حاضرة، أو على الموتى وكأنّهم أحياء، أو عندما يُوجّه الكلام إلى شيء ما (مثلاً، إلى وطن ما) وكإلى شخص. ففي ١كو ١٣: ٤، ٥، ٦، ٧، تُنسب الأفعال البشريّة إلى المحبّة، وكأنها هي التي تقوم بكل ما يرد ذكره من نشاط.

٦/٥) من الأصغر إلى الأكبر (١كو ١٣: ٧)

هي صورة تتلقى بها كلمةٌ ما شيئاً ما من أُخرى، هي في العمق مرتبطة بها من خلال الأفكار؛ مثلاً: «(المحبة) تستر كل شيء، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتصبر على كل شيء» (١ كو ١٣: ٧)[١٠].

كلّ شيء هو موجَّه نحو الأهم، وموضوع لأجل أن يوصل إلى ما هو أكبر؛ مثلاً: «... ما تربط في الأرض يُربَطُ في السماوات، وما تحل في الأرض يُحَلُّ في السماوات» (متّى ١٦: ١٩؛ ١٨: ١٨).

- من الضيق إلى الفرج والنجاة: «سيبغضكم الناس جميعاً لأجل اسمي، والصابر الى المنتهى هو الناجي» (متّى ١٠: ٢٢).

- من الاعتبار البشري ليوحنا إلى منزلة النبي: «... وإن نَقُلْ: من الناس، نخشَ الجمعَ، لأنه يرى كلُّه في يوحنا نبيّاً» (متّى ٢١: ٢٦).

- من الخطيئة والبُعد وصَمِّ الأذنَين إلى التوبة والدنو والإصغاء: «كان الجُباة والخطأة يدنون جميعاً من يسوع ليسمعوه» (لو ١٥: ١).

- من خسارة الذات إلى خلاص الكثيرين: «وإني لَحُرٌّ من الجميع، فقد عبّدتُ نفسي للجميع، لأربحَ أكثرهم» (١ كو ٩: ١٩)؛ «صرت للضعفاء ضعيفاً، لأربحَ الضعفاء، صرت كلاًّ لكل الناس، لأخلّص في كل حالٍ بعضاً منهم» (١ كو ٩: ٢٢).

٩- لدينا العديد من أدوات العطف في آ ٤-٧.

١٠- أنظر: متّى ١٠: ٢٢؛ ١٦: ١٩؛ ١٨: ١٨؛ ٢١: ٢٦؛ ٢٤: ٩؛ لو ١٥: ١؛ ١ كو ٦: ٢؛ ٩: ١٩، ٢٢؛ ١٣: ٧؛ فيل ٢: ٢١؛ ٤: ١٣؛ كول ١: ٣٨؛ عب ٦: ١٦.

٥/٧) تبديل في وضع الأفعال العادي (١ كو ١٣: ١٢)

تتضمّن هذه العملية استبدال صيغة فعلٍ بأخرى؛ مثلاً: غير المتعدّي وكأنّه متعدٍّ، والمعلوم وكأنه مجهول، الخ : «أمّا حينئذٍ فسأعرِفُ كما عُرِفت» (ترجمة الكسليك) || «أمّا حينئذٍ فسأعلم كما عُلِمت» (اللّجنة اللّيتورجيّة) (١ كو ١٣: ١٢).

٥/٨) تبديل في وضع أفعال التفضيل (١ كو ١٣: ١٣)

لا يوجد في العبريّة درجات للمقارنة في النعت؛ من هنا اللجوء إلى استعمال وسائل أخرى للتعبير عن المقارنة.

في العهد الجديد، الذي كُتِبَ باليونانيّة، الأفكار والاصطلاحات هي، بالمقابل، عبريّة؛ لذلك تُستَعمَل الطرق العبريّة للمقارنة؛ وهكذا نجد عدّة أمثلة عن استبدال التعبير التدرّجي : «لكنّ أعظمهنّ (بدلاً من «الأعظم») هي المحبّة» (١كو ١٣: ١٣).

٥/٩) حذف حروف العطف

في ١ كو ١٣: ١٣، لا وجود، في النص اليوناني، لحروف العطف بين الفضائل الثلاث : «والآن يبقى الايمان، الرجاء، المحبّة، هذه الثلاثة».

٥/١٠) ماذا يُجنَى من هذا العرض ؟

نستنتج مما تقدم، أن هذه الملاحظات، التي قد تبدو، في نظر البعض، عديمة الفائدة بيبلياً ولاهوتياً وروحياً، هي في الواقع على عكس ذلك، إذ تساعد مَن يتبنّاها على تجنُّب الوقوع في خطأ إلصاق أفكارٍ بالنص هي بالفعل غير مُتَضَمَّنَة فيه، من جهة، وعلى اكتشاف نقاط التركيز لدى الكاتب، وبالتالي على فهم ما هو أساسي وما هو ثانوي في مضمون النص، من جهة أخرى.

٦) بُنْيَة النشيد[11]

وحدة ١ كو ١٣ واضحة، ولم تطرح أية معضلة للبحاثة، كون هذا الفصل محاطٌ بإعلانَين يضعان في الواجهة، وبضمير المخاطَب الجمع، مَن إليهم تُقدَّم الاقتراحات المدرجَة فيه : «غاروا على المواهب العظمى. وإنّي لَمُريكُم طريقاً أفضل» (١٢: ١٣)؛ «إتّبعوا المحبّة، وغاروا على الأمور الروحية» (١٤: ١)، في حين أن ضمير المخاطَب الجمع، «أنتم»، لا يظهر في الفصل ١٣، حيث يتم التوسّع في موضوع الطريق الأسمى الآنف الذكر.

بالرغم من التساؤل حول ما إذا كانت آ ٨ أ تشكّل بداية القسم الثالث، أم نهاية الثاني، وحول ما إذا كان ينبغي اعتبار آ ١٣ كجزء من القسم الثالث، أم كخاتمة عامّة للنشيد، هناك إجماع حول تقسيم النص إلى ثلاثة، موزّعة على الوجه التالي: آ ١-٣، ٤-٧، ٨-١٣.

قد يبدو للقارىء، وللوهلة الأولى، أن الفصل ١٣ يقطع تواصل الفكرة بين الفصلين ١٢ و١٤، لكن الدراسات البلاغية تبيّن أن «تدبير» «المحبة» الذي يدخل كاستطراد في مسار العرض، هو مطابق لقواعد البلاغة القديمة. فيكون بالتالي الفصل ١٣ جزءاً أساسياً من الفصول ١٢-١٤.

يمكن اعتماد تصميم الفصول ١٢-١٤ وَفق الترتيب التالي: أ، ب، أ :

الفصل ١٢ (أ): يعالج موضوع تنوع المواهب؛

الفصل ١٣ (ب): يقطع مديحُ المحبة تواصل موضوعِ المواهب؛

الفصل ١٤ (أ): يعود إلى موضوع المواهب، ليُبرز سموَّ النبوءة على موهبة الألسن ويعطي بعض التوجيهات العملية.

لكنّ قبول هذا التصميم لا يسمح بتوضيح الدور الذي يلعبه الفصل ١٣ في وسط الفصلين ١٢ و١٤.

هناك سؤالان يُطرَحان حول **النوع** الذي يمكن فيه تصنيف الفصل ١٣ المُدرَج ضمن الجدل المتعلّق بمسألة المواهب، وحول **الهدف** المنشود، من خلاله، في إطارِ كهذا.

المسألة الضمنية في الفصول ١٢-١٤ هي تلك المتعلّقة بتدخّل أصحاب موهبة الألسن في الجماعة. من المحتمل أن يكون بولس قد طرح على نفسه تساؤلات حول هذا الأمر، فلم يشأ أن يواجه المعضلة بطريقة مباشرة، بل فضّل أن يضعها في أفق أوسع.

استناداً الى المعطيات الأدبية والموضوعية، يمكن تَبَيُّن بُنيةِ النشيد الثلاثية التالية:

١ - «المحبّة» علّة وجود تفوق المواهب (١٣: ١-٣)

٢ - ميزات المحبّة (١٣: ٤-٧)

٣- وأعظمها المحبّة ! (١٣: ٨-١٣).

٧) التفسير

١/٧) «المحبّة» علةُ وجودِ تفوق المواهب (آ ١-٣)

المحبة «هي مبدأ الحياة الجديدة في

١١- "The First Letter to the Corinthians", in *The Jerome Biblical Commentary*, 51:78, pp. 271 ff; J. T. Sanders, *Interpr* 20 (1996) 159-187.

المسيح التي صارت ممكنة، لأننا نلنا قوّةً، هي قوة الروح القدس» (أع ١:٨)[١٢]. هي تسمو على سائر المواهب الروحية وعلى كافة الفضائل، ولا عجب، فالله بالذات هو محبة! التأكيد الأساسي للآيات ١–٣ هو أنّ المواهب، حتى غير العاديّة منها، والتي يقدّرها الكورنثيّون جيّداً، لا قيمة لها من دون «المحبّة». يُعلن بولس ذلك في آيات ثلاثة حيث يزداد التشديدُ شيئاً فشيئاً على هذا الأمر، في حين أنّ عبارة «ولم تكُنْ فيَّ المحبّة» تتكرر كلازمة في النشيد.

«لو كنت أنطق بألسنة الناس والملائكة...» (١كو ١٣:١)

تلمّح هذه العبارة إلى تكلّم الكورنثيّين بالألسن، وتدلّ على كلّ اللّغات الممكنة، بما فيها الأكثر سموّاً والأكثر روحانيّة، أي «أَلْسُنُ الملائكة». في هذا التعبير إشارة إلى الصلوات وأناشيد التسبيح التي يرفعها الملائكة إلى اللّه. تشهد بعض النصوص اليهوديّة على وجود قناعة بأنّ بعض الناس وبعطيّة خاصة، بإمكانهم أن ينطقوا أو يفهموا هذه اللّغات. يتكلّم كتاب «وصيّة أيّوب» (القرن الأوّل ق. م. – الثاني ب. م.) بشأن بناته، فيقول: «الأولى تُدعى هِميرا...، كانت تتكلّم بطريقة انخطافيّة، لغة الملائكة». وبولس بالذات، في ٢كو ١٢:٤ يتكلّم على اختبار شخصي مماثل.

يبدأ بولس بالألسن، بدون شك لأنه هنا تكمن المشكلة مع الكورنثيين. هذا على الأقل ما يشير إليه إطار النص. الانتباه مركّز فقط على وسائل التعبير، على وسيلة النقل اللغوية. تتميز وسائل التعبير هذه بصيغة الجمع، «الألسن»، الذي قد يمكنه أن يوحي بالتنوّع، لكنه يبرز بالأحرى الشمولية، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المضافَين إليه: «الناس» و«الملائكة» اللذَين يحددان «الألسن». المقصود إذاً هو ألسنة الجميع، أو أيضاً كل اللغات الأرضية والسماوية.

لغياب «المحبة» نتائجُ غير ذي أهمية بالنسبة إلى الذي يتكلم كل هذه اللغات. فهي تعني كيانه، هويته التي توصف بصورتَين، «نحاس» و«صنج»، اللتين لهما نقطة مشتركة، وهي أنهما مادتان تصدران صوتاً وليس كلمة. قد يوحي «النّحاس» و«الصنج» بالعبادات الوثنيّة؛ ففي الأدب والفلسفة، كان من الشائع مقارنة الخطباء الذين كانت فكرتهم خاوية، وكلامهم رنّاناً، بهذه الآلات. يؤكّد بولس على عدم متانة مَن يتكلّم بالألسن، «إذا لم يكن فيه محبّة»؛ فما هو سوى صنج يرنّ، ليس إلاّ!

«ولو كانت لي نبوءة.. ولو كان لي الإيمان كلّه حتى أنقل جبالاً...» (آ ٢).

يُنظَرُ إلى علم الخفيّات وإلى معرفة اللّه بدرجتهما الأعلى، وهما مرتبطان بالنبوءة إلى حدّ أنّه يمكنهما أن تكونَا مظهرَين عنها، ويصعب بالتالي تمييزهما عنها. كذلك يُعتبر الإيمان الفاعل أيضاً في مستواه الأعلى. «نقل الجبال» هو تحقيق شيء مستحيل وَفقَ المسار المعتاد للأمور، والقول اليهودي المأثور الذي يستعمل هذه الصورة يعني «جعل المستحيل ممكنا». يَرِدُ على البال كلام يسوع في الإنجيل: «إن يقُلْ لهذا الجبل قائلٌ: انقلع، وارتم في البحر، يكن له ما قال» (مر ١١: ٢٣)؛ «لو كان لكم من الإيمان قَدْرُ حبّة خردل، لَقُلتم لهذا الجبل: انتقل من هنا إلى هنالك، فينتقل، ولما استحال عليكم أيّ شيء» (متّى ١٧: ٢).

مَن كانت له هذه المواهب في أعلى مستوياتها، «ولم يكن فيه محبّة»، ليس فقط لا يملك شيئاً، بل «هو ذاته لا شيء»: الصيغة القويّة جدّاً تذكّر بـ ١ كو ١: ٣٠ حيث نقرأ: «أنتم في المسيح يسوع»، بمعنى «أنتم موجودون». بدون المحبّة، أنا لا أوجد كمسيحي.

«ولو أطعمتُ كلّ ما أملك، ولو سلّمتُ جسدي لأُحرَق، ولم يكُنْ فيّ محبّة، فلا أستفيد شيئا» (آ ٣).

كذلك مَن قد يهب كلّ خيراته لإطعام الفقراء، أو من قد يهب حياته بالطريقة الأقصى، مُسلِماً جسدَه إلى النّار، قد لا يستفيد شيئاً من عمله كمؤمن، إذا لم يكن فيه محبّة. من النافل التساؤل عمّا إذا كان هناك استشهاد أو تخلّ بطولي عن الذات لصالح الفقراء، دون محبّة: يعبّر بولس عن فكرته بطريقة تعارضيّة، ليبرز بقوّة ضرورة «المحبّة».

٢/٧) ميزات المحبّة (١٣:٤–٧)

تتجلّى في هذا المقطع نشوة بولس الصوفي واللاهوتي الواقعي والعملي، من جهة، والمحلّق بالروح إلى حيث قلبه أبداً مشدود، من جهة ثانية. كما يفعل في أماكن أخرى بالنسبة إلى الخطيئة، والشريعة أو الموت (رج روم ٥–٧)، يلجأ هنا أيضاً إلى تشخيص المحبّة، مستعملاً لوصفها أفعالاً، يبيّن بها طابعها الفاعل، والحيويّ، والديناميكي. يمكن إعطاء مثل على كلّ عناصر الوصف من نصّ الإنجيل، وعديدون هم الذين يعتقدون أنّه يمكن اكتشاف صورة

١٢– التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، رقم ٧٣٥.

المسيح من خلال كلّ هذا. يبدأ الوصف بميزتين عامّتين، تليهما ثمانية سلبيّة، وخمسة إيجابيّة.

«المحبّة تتأنّى، المحبّة ترفق» (آ ٤ أ).

تميّز هاتان الصّفتان وَجْهَيّ المحبّة المسيحيّة غَيْرُ المُنفعل والفاعل.

«التأنّي» هو أولاً علامة رجاء وقدرة هائلة على تخطي واقع غير مريح وغير مرضي، وانتظار زمن أو وضع أفضل. فـ«إبراهيم تأنّى فنال الموعد» (عب ٦:١٥؛ رج ١١:٩ و١٣ و٣٣ و٢٩). ويعادل التأني الصبر؛ هكذا يدعو يعقوب الرسول «الإخوة إلى أن يتأنوا حتى مجيء الرب، كالحارث الذي ينتظر ثمر الأرض الثمين، متأنّياً به حتّى يُصيب وسْمِيَّ وولِيَّ» (يع ٥:٧).

التأني أمام الشتيمة، وعدمُ الانجراف وراء الانفعال الذي يدفع إلى الردّ مباشرةً، وتأخير الانجرار وراء الغضب، وإعطاء البرهان على توفّر إمكانيّة «التأنّي»، كما جاء في ١ تس ٥: ١٤: «ونطلب إليكم، أيّها الإخوة، ... تأنّوا مع الجميع». نعود بالفكر إلى طول أناة الله، وإلى نصّ سفر الخروج حيث تجلّى الله لموسى على أنّه إله حنان، «بطيء الغضب» (خر ٣٤: ٦).[١٣]

لا تقوم المحبّة المسيحيّة فقط على «التأنّي»، كما أنّها ليست وبكلّ بساطة، داخليّة، ولا مسألة مشاعر حسنة، بل هي ناشطة، وتُترجَمُ بالأعمال الحسنة؛ إنّها، حسب المعنى الأصلي للكلمة، «عملُ خير»، «خدمة» أو «تَرَفُّق». بعد هذه المميّزات الأساسيّة، يصف بولس المحبّة مُبيّناً ما ليست هي، أو ما لا تعمل،

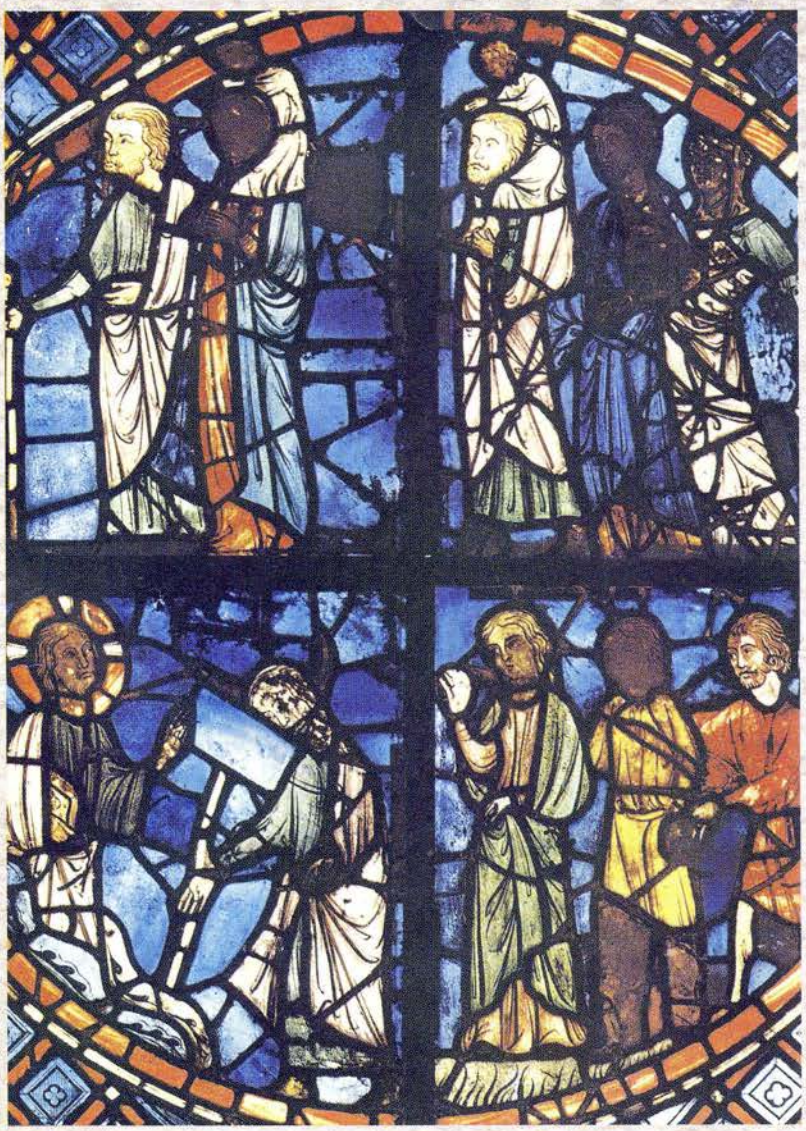

يبشّر بولس بالمصالحة، فيقارن رسالته برسالة موسى، خادم الشريعة، ليبيّن أنّه رسول تضامن جديد، ورسول العهد الجديد

(من حياة موسى، كاتدرائيّة سْوَاسُّون، فرنسا، القرن الثالث عشر)

ونلاحظ أنّها تُناقِضُ المواقفَ التي كانت تعيث فساداً في كورنتس.

«المحبّة لا تحسد، ولا تتباهى، ولا تنتفخ» (آ ٤ ب).

قال بولس الرسول في ١ كو ٣: ٣: «متى كان بينكم حسدٌ وخلاف، أفلا تكونون لحميّين، وسلوك بشر تسلكون؟»[١٤]. المحبّة لا تحسد أحداً، لا تتباهى، ولا تقع في التّفاخر، ولا تسير في إثر الادّعاء المزيّف والمُغالَى به. لا يوجد فعل «انتفخ» في العهد الجديد، إلاّ

١٣– نجد ذات المصطلحات عند بولس وفي السبعينيّة.
١٤– رج روم ١٣: ٨–١٠؛ ١ تس ٥: ١٤–١٥.

في ١ كو (ستّ مرّات: ٤:٦، ١٨-١٩؛ ٥: ٢؛ ٨:١. يتباهى أهل كورنتس بانتمائهم إلى هذا أو ذاك من المُبشّرين، وبمعرفتهم الدينيّة، أو بمواهبهم الروحيّة)، كما أيضاً في كول ٢:١٨.

«لا تأتي قباحةً، ولا تلتمس ما هو لها، ولا تحتدّ، ولا تظنّ السوء» (آ ٥ أ)[١٥].

يعلّم الرسول في ١ كو ١٠:٢٤ و٣٣ ما يلي: «لا يَسعَيَنّ أحدٌ إلى ما يهمّه، بل إلى ما يهمّ الغير» (آ ٢٤)؛ «فإنّي أنا أُرضي الجميعَ في كلّ شيء، غير ساعٍ إلى ما هو نافعٌ لي، بل للكثيرين، لكي يخلصوا» (آ ٣٣). لا تفعل المحبّة شيئاً لا يليق، أي ما هو في غير مكانه أو غير موافق، أو ينقصه اللّطف وحسن الانتباه؛ لا تسعى إلى ما هو لصالحها، بل ما هو لصالح القريب: إنّه الموقف الذي يطلبه بولس من أهل كورنتس، والذي يتّخذه هو بالذات؛ كما يمكننا أن نلاحظ أنّ هذا الموقف، الذي يسمح لأحدٍ ما بأن يحقّق ذاته حقيقةً، هو خالٍ من الأنانيّة، ولكن ليس من حبّ صحيح للذات وَفْق اللّه، ولا من الرجاء الذي تُنعشه محبّة اللّه الذي نرجو لقياه.

«المحبّة لا تغضب». في العهد الجديد، هناك استعمال آخر وحيد لهذا الفعل للكلام على غضب بولس أمام أصنام أثينا: «...وروحُه ثائرةٌ لرؤيته المدينةَ حافلةً بالأصنام» (أع ١٧:١٦).

«ولا تظنّ السوء» (آ ٥ ب).

لا تركّز المحبّة على الشتيمة التي تُوَجَّهُ إليها. قد يعني الفعل أيضاً أنها لا تُعيرُ أهمّيةً للشرّ الذي يُقترَفُ ضدّها، وكأنّها تدوّنه على سجلٍّ لتتذكّره وتأخذه بعين الاعتبار.

«ولا تفرح بالظلم، بل تفرح بالحقّ» (آ ٦).

في روم ١٢:٩، يعطي بولس تعليماً سامياً، يتماشى مع مضمون آ ٦ التي نحن بصددها، فيقول: «إجعلوا المحبة بلا رياء، مجانبين الشرّ ملازمين الخير» (رج ٢ كو ٦:٨). فهل كان من الضروري التحذير من هذه السلبيات؟ وهل يمكن الكلام على المحبة، إذا ما كانت هناك تعديات أو مخالفات من هذا القبيل؟

تُنهي هاتان الجملتان المتوازيتان المعطيات السلبيّة، وتَبدأان بتلك الإيجابيّة. لا تفرح المحبّة بالشرّ الأدبيّ، وخاصّة بالشرّ الذي يُقترَفُ أو الذي يحلّ بالأعداء. أكثر من ذلك، تجد فرحَها في الحقيقة، وتتقاسمه مع الآخرين: الحقيقة التي تتعارض مع الشرّ ومع الظلم الديني، هي الاستقامة الخُلقيّة، الحقيقة المُتَرْجَمَة في الحياة. تفرح المحبّة بالحقيقة حيثما وجَدَتْها، وتبيّن هكذا طابَعَها الإيجابيّ وانفتاحَها.

«وتحتمل كلّ شيء، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتصبر على كلّ شيء» (آ ٧).

ليست هذه الأوصاف النبيلة للمحبة بجديدة بشكل مطلق في الكتاب المقدس؛ فإننا نجد صدى لذلك في أم ١٠:١٢؛ روم ١٥:١؛ ١ بط ٤:٨؛ ١ كو ٩:١٣.

تشكّل هذه الخطوطُ الأربعة مجموعةً مطبوعةً بتكرار عبارة «كلّ شيء».

«تحتمل» المحبّة كلّ شيء: هذا هو المعنى العادي للفعل، الذي يلتقي بصبر المحبّة. من أجل تحاشي التكرار مع الفعل «تقاسي كلّ شيء»، نترجم أيضاً: «تعذر كلّ شيء» (حرفيّاً: «تستر كلّ شيء»). يمكن للفعل أن يُعبّر عن هذا الفارق في التسامح، لكن هذا الفارق هو أقلّ احتمالاً.

«تصدّق كلّ شيء»: هي ليست ساذجة وسريعة التصديق: يتكلّم بولس بتوسّع على تمييز الأرواح. لها بالمقابل تجاه القريب موقفٌ عطوفٌ ومُؤات، وتعرف أن تُصدّقَهُ. هذا التصديق الذي يُبيّن الاختبارُ الدعمَ الذي تعطيه لِمَنْ هو موضوعه، هو قريب جدّاً من الرجاء.

«ترجو كلّ شيء»: لا تيأس المحبة من إنسان، ولا تحبسه نهائيّاً في وضع الخطيئة، بل هي تؤمن أنّ المستقبل يبقى مفتوحاً أمامه، وتبقى على الرجاء الوطيد أنّه سيتحقّق.

«تصبر على كلّ شيء»: يكشفُ هذا الفعلُ أيضاً عن صَبْرِ «المحبّة»، ولكن مع التشديد على القوّة التي بها تحتمل سوءَ الفهم، والرفض، والتناقضات، والفشل، والآلام، وغيرها. وجه المحبّة هذا، الذي يُعطي عنه بولس بالذات المَثَلَ (١ كو ٤: ١٢)، هو مرتبط مرّات عدّة، عنده، بالرجاء (١ تس ١:٣؛ روم ٥:٣-٤).

كما قلنا، يمكن هذه الخطوط للمحبّة أن تُفهَمَ أيضاً بالنسبة إلى الإيمان والرجاء باللّه، اللّذَيْن لا ينفصلان عن المحبّة التي تصدّق القريب، وترجو له مستقبلاً، ولكن هذه الوجوه الأخيرة هي هنا في الواجهة.

٣/٧) أعظمها المحبّة! (١٣:٨-١٣)

يتكلّم بولس الآن على عظمة المحبّة. فهي تفوق المواهب بديمومتها وكمالها، حتى إنها تسمو على الإيمان والرجاء.

١٥- رج روم ١٢: ٩-١٠؛ ١٣: ١٠؛ فل ٢:٤؛ زك ٨: ١٧.

المحبّة لا تسقط أبداً، أمّا النبوءات فَستُبْطَل... (آ ٨).

تجد هذه الآية صدى، لا بل تأكيداً لها في آ ١٣، حيث تتوضح فكرة الرسول هذه بتلك وبالعكس. فالمحبة هي الثابتة، أما غيرها فلا. إنّ معرفتنا لله تنمو وتكبر، وبالتالي تتغير، ولكنها تبقى جزئية وناقصة، كما سيقول بولس في آ ١١-١٢؛ أما في العالم الآتي، فستتحوّل إلى مشاهدة لله وجهاً لوجه. ستزول مواهبُ النبوءة، وتَكَلُّمُ اللّغات، ومعرفةُ اللّه، وهي مواهبُ محدودة ومرتبطة بالوضع القائم (آ ٩ و١٢)؛ أما المحبّة فستبقى جوهرياً كما هي، في هذا الدهر وفي الآتي.

تشرح آ ٩-١٢ الطابعَ العابرَ للمواهب، انطلاقاً من نقصانها (أي من عدم كمالها) وحدودها. في ما يتعلّق بالنبوءة وبمعرفة الله، يعلن بولس المبدأ التالي: «متى جاء الكامل يُبطَل الناقص» (آ ١٠)، ثمّ يوسّع هذا المبدأ عبر مقارنتين:

- الأولى (آ ١١)، هي مقارنة معرفة الولد والراشد، فتبيّن الطابع «الناقص»، الذي ما زال ولاّديّاً، وبالتالي مؤقّتاً، بالنسبة إلى معرفتنا الحاضرة، مقارَنةً مع حالتها المستقبلة، حالة الرشد، حيث تبلغ نموّها الاجتماعي والنهائي.

- الثانية، هي مقارنة «المرآة»[١٦] و«اللّغز» (آ ١٢): تعبّر عن طابع معرفتنا لله غير المباشر، والذي ما زال غامضاً. كانت كورنتس مشتهرة بمراياها، وكانت هذه المقارنة شائعة في الأدب والفلسفة. تدلّ على أنّ معرفتنا لله، في الإيمان، ليست معرفة مباشرة وفوريّة، بل على عكس ذلك. أكثر من ذلك، تحتفظ هذه المعرفة بطابع ما زال غامضاً: تتحقّق من خلال «صورة غامضة» (حرفيّاً بـ«اللّغز»)، وليس بوضوح الوجه إلى الوجه. يُبرز بولس هكذا الطابعَ الجزئيَّ والمحدودَ، وبالتالي المؤقّت، لمعرفتنا لله على هذه الأرض.

بالمقابل ستبلغ معرفتنا لله ملئها «عندما يأتي الكامل» (آ ١٠): ستكون عندها معرفةً بالغةً، وليس معرفةَ ولدٍ، ستكون رؤيةً «وجهاً لوجه» (آ ١٢)، وليس رؤيةً غيرَ مباشرةٍ وغامضة. هذا التعارض الأخير، يؤدّي إلى التذكير بنصّ عد ١٢:٦-٨ الذي يضع، في مقابل معرفة الأنبياء من خلال الرؤى والأحلام، معرفةَ موسى الذي يكلّمه الله «وجهاً لوجه، وليس باللّغز». بشكل عام، بالنسبة إلى العهد القديم، لم يكن ممكناً رؤية الله دون أن يؤدّي ذلك إلى الموت (خر ٣٣:٢٠). عند التّمام، تبلغ معرفتنا لله كمالها، وتكون على صورة المعرفة المملوءة محبّة، التي لله عنّا (١كو ٨:٣؛ غل ٤:٩): «أمّا حينئذٍ فسأعرف حقّاً، كما عُرِفْتُ» (أي كما عَرَفَني الله).

«ما يبقى الآن» (آ ١٣).

في مقابل عطايا الروح، التي بالطبع تفيد في بناء الجماعة، ولكنها بالمقابل معطاة لعمل محدود في الزمان، يضع بولس عطايا الروح عينه، التي تدوم في الزمن، والتي تمثّل ملء الحياة المسيحية. بالنتيجة، بمقدور جماعةٍ ما أن تعيش في تنوّع المواهب، وإليها ينبغي أن تتوق، لكن الثلاثية، أي الإيمان والرجاء والمحبة، تشكل الحقيقة الجوهرية لحياة الكنيسة بالذات، التي بدونها قد لا يكون للمواهب وزنها الخاص وقيمتها الكنسية.

يقول بولس إن أعظم الثلاثة، الإيمان والرجاء والمحبّة، هي هذه الأخيرة، وبالرغم من أنه لا يشرح السببَ، فإن هذا يُستَنْتَج من إطار النص، ومن اتّخاذ الموقف الأساسي الذي يشكّله الفصل ١٣: المحبّة هي الأعظم بفضل استمراريّتها (آ ٨ي)، وكمالها (آ ٢ و٤-٧)، ولكونها القيمة الإنجيليّة الأعظم. لن يلفظ بولس الكلمة الحاسمة التي عند يوحنّا، والتي هي في أساس المحبّة، عنيتُ أنّ «الله محبّة»، ولكنّه يُعلن بالمقابل وبدون إبهام أولويّة المحبّة.

ينبغي إذا بالضرورة أن تُربَطَ هويّة المسيحية بما «يبقى» في الزمن، أي قبول سر يسوع المسيح في آلامه، وموته، وقيامته - وبكلمة واحدة، في الإيمان - في محبة القريب، وفي انتظار عودته. هذه الثلاثة «تبقى»؛ مع هذا، فهي موضوع، ليس فقط الانتظار الأسكاتولوجي، بل تنتمي بشكل تأسيسي إلى التتميم الأسكاتولوجي. الإيمان والرجاء، كالشيء الذي يسمح بتحقيق مجد الله، والمحبة كملء الاشتراك في محبة المسيح.

«أعظمها المحبّة» (آ ١٣)

نبلغ هكذا الى ختام النشيد بالتذكير بالثلاثية الواردة فيه. ليس صدفةً أن يكون الكلام على المواهب قد تواصل حتى هنا. يعرض بولس على

١٦- «المرآة»: الرؤية في مرآة يمكن أن تكون إشارة إلى الرؤية النبويّة، استناداً إلى تفسير ترجوم سفر العدد ١٢: ٦-٨، حيث تُترجم كلمة «رؤية» بكلمة «مرآة». كان المعلّمون العبريّون يتكلّمون على الفرق بين المرآة الصافية التي فيها تَمَّ الوحي لموسي، والمرآة المُعتمة التي فيها أُعطي الوحي للأنبياء الآخرين. إذا تبع بولس هذا التقليد، تدلّ المرآة على الرؤية النبويّة، وهي إحدى المواهب المذكورة في ١ كو ١٢. في بعض نصوص الفلسفة اليونانيّة، بدءاً من أفلاطون، تدلّ المرآة على رؤية غير مباشرة للواقع.

الكورنثيين، الذين يتوقون الى التمكّن من الألسن، ضرورة التنبّوء وأهميته، كما أيضاً معرفة سر المسيح، اللذَين لهما موقعهما الهامّ في مجال التكلّم بالألسن. ينبغي، مع هذا، أن تكون أهمية التنبّوء والمعرفة «نسبيّة» في مقابل ما يدوم، أي الإيمان والرجاء والمحبة. بتعبير آخر، يبدو الرسول وكأنه يخلق تضاداً بين ثلاثيّتين: التكلم بالألسن، والتنبّوء، والمعرفة، من جهة، والإيمان، والرجاء، والمحبة، من جهة ثانية.

توجد ١كو ١٣:١٣ في إطار القسم الكبير المكوّن من الفصول ١٢-١٤ حيث يشرح بولس للكورنثيّين قيمة المواهب ودورها في حياة الجماعة، وضرورة التنبّه الواجب إلى إنمائها. تبدو الفصول الثلاثة (١٢ و١٣ و١٤) مبنيّة بطريقة تسمح للرسول بأن يبرز التنبّوء بشكل مركّز. فالرسول يعتبر التنبوء العطيّة التي ينبغي أن يتوق المؤمن إليها، لكي تكون كلمة الربّ حاضرة أبداً في الجماعة، وبهذا يستطيع المؤمنون أن يعيشوا إيمانهم بطريقة مرضيّة. يلعب التنبوء الدور الرئيسي في هذا القسم؛ فبالتنبوء تنمو الجماعة في عملها التبشيري بالانجيل (١٤:٢٣-٢٥)، وبوجود النبيّ، «تُبنى» الجماعة (١٤:٣).

يشدّد الفصل ١٢ على حدث التنبوء وعلى دوره في الجماعة؛ ويبيّن الفصل ١٣ أن المحبّة هي كالمبدأ القاعدة الذي ينبغي أن ينشّط العمل النبويّ؛ أما الفصل ١٤ فيعالج معضلات الجماعة التي تعيش بتنوّع المواهب، مذكّراً بالقيمة التأسيسيّة للنبوءة (١٤:٣٢-٣٣). كما نرى، إطار ١كو ١٣:١٣ العام هو في داخل هذا التعبير الحسيّ من الحياة الكنسيّة.

يوصل نصّا ١ تس ١:٣ و٥:٨، كما أيضاً ١ كو ١٣:١٣، الى اتفاق، ألا وهو أن الإيمان والرجاء والمحبة تعبّر عن مجمل الوجود المسيحي، وتقدّم للعالَم مضمونه الأساسي.[١٧]

من أجل إضفاء طابع على الوضع المسيحي الحالي («ما يبقى الان»، ١٣)، يُدخل بولس إذاً، بطريقة طبيعيّة جداً، الثلاثيّة: الإيمان، والرجاء، والمحبّة، ليؤكّد لاحقاً على تقدّم هذه الأخيرة على الاثنين الأوّلين. تظهر «هذه الثلاثة»[١٨] معاً في نصوص أخرى من العهد الجديد أيضاً (١ تس ١: ٣ و٥:٨)، وَفقَ الترتيب التالي: الإيمان، والمحبّة، والرجاء. إنّها موضوع تقليدي في تبشير الكنيسة، لوصف الوجود المسيحي (رج ١ تس ١:٣). أكان مصدرُها بولسَ أم غيرَه، فإنّها كانت مُستعملة منذ بعض الوقت.

٨) خاتمة

في ختام هذا العرض، لا بدَّ من القول بأنّ التقاءَ المسيح يسوع ببولس، عندما كان لا يزال بَعْدُ مضطّهِداً للكنيسة، قد كشف له قدرة محبّة المسيح ومفعولها. هذا الحدث المصيري بالنسبة إلى وجوده، سمح له بأن يقبل بفرح وبقوّة ما كانت قد قبِلَته الجماعات المسيحيّة الأولى من المسيح ومن الرسل، ويدرك أبعاد المحبة الكريستولوجية واللاهوتية والحياتية والخُلُقية. فكان هكذا من الطبيعي أن ينشد بولس المحبّة، في ١ كو ١٣، ويمدحها، ويصفها، ويُبرز قيمتَها الخاصة والاستثنائية. إنها «رباط الكمال» (كو ٣:١٤)، و«منتهى جميع أعمالنا»[١٩]. نشيد المحبّة هو في العمق دعوة إلى السير في إثر مَن «مَن أحبّنا أوّلا» (١ يو ٤:١٩)، و«أحبنا حتّى النهاية» (يو ١٣:١).

مراجع مختارة

صفير البطريرك نصرالله، «نشيد الأناشيد: اسعوا في طلب المحبّة؛ ١كو ١٤:١»: عظة الأحد. خواطر روحيّة ومواقف وطنيّة، الجزء الخامس (دار الفلسفة : لبنان ١٩٩٢) ٢٣٥-٢٤٠.

خوّام الأب جورج، «صورة المرسل عند بولس (حسب ١كو ٩:١٩-٢٧)»، المسرّة، ٨٥/٨٤٢ (١٩٩٩) ٨٠١-٨٠٧.

الفغالي الخوري بولس، رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنتوس (منشورات الرسل، لبنان ١٩٩٣) ١٤٧-١٥٠.

التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية (الترجمة : المكتبة البولسية، لبنان ١٩٩٩).

De SURGY P. - CARREZ M., *Les épîtres de Paul. 1 Corinthiens* (Bayard - Centurion 1996) 102.

DUPONT J., *Gnosis. La connaissance religieuse dans les épîtres de Saint Paul* (Louvain - Paris 1949) 51-148; G. KITTEL, "Ainigma", *ThDNT* 1, 178-180.

١٧- Rino FISICHELLA, "La triade fede, speranza e carità in Paolo", in L. Padovesi (a cura di), *Atti del III simposio di Tarso su S. Paolo Apostolo* (Coll. Turchia: la Chiesa e la sua storia, n. IX; P. A. Antoniano: Roma 1995) 81-83.

١٨- RAVASI, *Lettere apostoliche e Apocalisse* (éd. Paoline: Milano 1990) 77.

١٩- القدّيس أغوسطينوس، في رسالة يوحنّا إلى البرتيّين، ١٠، ٤.

نشيد المحبة (١ كو ١٣)

إقرأه واقبله، فتكون لك الحياة !

١ – «المحبّة» علة وجود (آ ١–٣)

(آ ١) لو كنت أنطق بألسنة الناس والملائكة...

(آ ٢) ولو كانت لي النبوءة .. ولو كان لي الإيمان كلّه حتى أنقل الجبال...

(آ ٣) ولو بذلتُ جميعَ أموالي لإطعام المساكين، وأسلمْتُ جسدي لأُحرَق، و لم تكُنْ فيّ المحبّة، فلا أنتفع شيئا.

٢ – ماهية المحبّة وعكسها (١٣: ٤–٧)

(آ ٤) المحبّة تتأنّى وترفق. المحبة لا تحسد، ولا تتباهى، ولا تنتفخ،

(آ ٥) لا تأتي قباحةً، ولا تلتمس ما هو لها، ولا تحتدّ، ولا تظنّ السوء،

(آ ٦) ولا تفرح بالظلم، بل تفرح بالحقّ ،

(آ ٧) وتحتمل كلّ شيء، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتصبر على كلّ شيء.

٣– وأعظمها المحبّة ! (١٣: ٨–١٣)

(آ ٨) المحبّة لا تسقط أبداً، أمّا النبوءات فستُبْطَل، والألسنةُ تزول، والعلم يُبطَلُ.

(آ ٩) فإنّا نعلم علماً ناقصاً، ونتنبّأ تنبّؤاً ناقصاً،

(آ ١٠) فمتى جاء الكامل يُبطَلُ النّاقصُ.

(آ ١١) إني لمّا كنتُ طفلاً كنتُ أنطق كالطفل، وأعقل كالطفل، وأفكّر كالطفل؛ فلمّا صرتُ رجلاً أبطلتُ ما هو للطفل.

(آ ١٢) لأنّنا الآن ننظر في مرآةٍ على سبيلِ اللغز، أمّا حينئذٍ فوجهاً الى وجه. إني أعلم الآن علماً ناقصاً، أمّا حينئذٍ فسأعلم كما عُلِمْتُ.

(آ ١٣) والذي يثبت الآن هو الإيمانُ والرجاءُ والمحبّةُ. هذه الثلاثةُ وأعظمُهُنّ المحبة.

FEDERICI Tommaso , *"Resuscitò Cristo!" Commento delle letture bibliche della divina liturgia bizantina* (Palermo 1996) 1171-2.

FOCANT C., *The Corinthian Correspondance* (BETL, CXXV, Leuven 1996) 199- 245.

Jerome (The) Biblical Commentary, 51:78, pp. 271-2: "The First Letter to the Corinthians".

GIROUD J.-C. et PANIER L., "L'hymne à la charité (1 Co 13:1-13)", *Cahiers Évangile* 59 (1987) 32-45.

LACAN M.-F., "Les trois qui demeurent. 1 Co 13,13", *RSR* 46 (1958) 321-343.

LACAN M.-F., "Le mystère de la charité. 1 Co 12,31-13,13", *AssSeig* 35 (1973) 56-61.

LYONNET S., "Agapè et charismes selon 1 Co 12,31", in L. DE LORENZI (éd.), *Paul de Tarse, apôtre de notre temps* (Benedictina, 1; Roma, 1979) 509-527.

MAILLOT A., *L'hymne à l'amour. Éloge de la vie ordinaire selon 1 Co 13* (Aubonne, 1990).

NYGREN A., *Agape and Eros* (London 1953).

SENFT C., *La première épître de Saint Paul aux Corinthiens* (ComNT n.s., 7; Neuchâtel: Paris 1979).

SIGOUNTOS J. G.,"The Genre of 1 Co 13", *NTS* 40 (1994) 246-260.

SPICQ C., *Agape in the NT* (3 vols.; St Louis, 1963-67).

STANDAERT B., "Analyse rhétoriqe des chapitres 12 à 14 de 1 Co", in L. DE LORENZI (éd.), *Charisma und Agape (1Ko 12-14)* (Benedictina, 7; Roma, 1983) 23-34 (+ *Diskussion*, pp. 35-50).

- , "1 Co 13", in L. DE LORENZI (éd.), *Charisma und Agape* (1Ko 12-14) (Benedictina, 7; Roma, 1983) 127-139 (+ *Diskussion*, pp. 139-147).

WARNACH V., *Agape* (Düsseldorf 1951).

Voir *La Bible, Nouveau Testament*,
tome premier, Le Livre de Paris, p. 317.

أعظم نشيد للمحبّة أدّاه يسوع في العشاء الأخير ثمّ على الصليب

(زخرفة مخطوط من القرن الثاني عشر، المكتبة الوطنية، أثينا، اليونان)

١كو ٩: ١-٢٧

عندما يتعارض الحقّ والواجب في خدمة المسيح

القس عيسى دياب

كان بولس قد بدأ، في الفصل الثامن، الإجابة على سؤال كان المؤمنون في كورنتس قد طرحوه عليه في رسالة وجّهوها إليه أو بواسطة عائلة خلوة، وهو التالي: «هل يحق للمسيحي أن يأكل من الذبائح التي تُقَدَّم للأوثان ثمّ تباع في الملحمة؟» كان جواب الرسول: نعم، يحق له، لأن لا كيان للوثن لكي نحسب له حسابا، إنما، لأن البعض لا يملكون هذه المعرفة، وضمائرهم ليست متحررة من هذا القيد، فتجرح ضمائرهم لرؤية هذا الفعل، على المسيحي أن يضحي بحريته وحقه الشرعي في هذا المجال لتحاشي جرح ضمير المسيحيين الضعفاء. ويتوصل بولس إلى قاعدة مفادها أن المسيحي حر في حقوقه الشرعية، لكن الأفضل هو أن يتنازل عنها، إذا كان التمتع بها يهدد **مصلحة الخدمة**.

١. شرح النص البيبلي:
حق الرسول وواجب الجماعة

في الفصل التاسع، يطبق بولس هذه القاعدة على نفسه وعلى برنابا رفيقه في الخدمة، إذ كانا معا في الرحلة التبشيرية الأولى، فيعدد اثنين من حقوقهما الشرعية، كرسولين وخادمين ليسوع المسيح، التي لا يخطئا أبدا إن تمتعا بهما: ١) حق الزواج واصطحاب زوجتيهما معهما في تجوالهما المرسلي، ٢) وحقهما أن يعيشا على نفقة الكنائس التي يخدمانها، ويخص بالذكر كنيسة كورنتس (آ ١-٦). ثم يترك بولس الكلام على الحق الأول ليركز على الثاني حتى نهاية الفصل التاسع.

للتأكيد على حقه بالعيش على نفقة الكنيسة، يستحضر بولس أمثلة مألوفة: «من هو الذي يحارب والنفقة عليه؟ من هو الذي يغرس كرما ولا يأكل من ثمره؟ من هو الذي يرعى قطيعا ولا يأكل من لبنه؟» (آ ٧). ولكي لا يكون كلامه مستندا على مجرد حكمة بشرية، يدعم بولس فكرته باقتباسات وصور من العهد القديم: «جاء في شريعة موسى : لا تكم الثور على البيدر وهو يدرس الحصاد... ومعناه: على الذي يفلح الأرض والذي يدرس الحبوب أن يقوما بعملهما هذا على رجاء أن ينال كل منهما نصيبه منه، فإذ كنا زرعنا فيكم الخيرات الروحية، فهل يكون كثيرا علينا أن نحصد من خيراتكم المادية؟» (آ ٩-١١؛ رج تث ٢٥: ٤) ؛ «ألا تعرفون أن من يخدم الهيكل يقتات من تقدمات الهيكل، وأن من يخدم المذبح يأخذ نصيبه من الذبائح؟» (آ ١٣؛ رج لا ٧: ٢٨-٣٤؛ تث ١٨: ١-٣)، إلى أن يضع القانون بوضوح: «**هكذا أمر الرب للذين يعلنون البشارة أن ينالوا رزقهم من البشارة**» (آ ١٤)؛ وبقوله «هكذا أمر الرب» ربما يشير بولس إلى تعليم أعطاه الرب يسوع المسيح في الأناجيل، (رج مت ١٠: ١٠ ولو ١٠: ٧). يظهر من الآية ١٢، أن أحدهم كان يتمتع بهذا «الحق» في كنيسة كورنتس ويقول بأنه هو أولى به، لكن إصراره عليه سيضعه في مواجهة مع الكنيسة أو مع هذا الشخص المستفيد منها أو مع الذين ينكرون عليه هذا الحق، ولربما يُتَّهم بأنه مادي إذا تمتع به، فيسلبونه فخره بالخدمة وبريق مجد الكرازة بالإنجيل. ولأن هذا الإصرار وهذه المواجهات تضر بسمعته وبرسالته وروحانيتها وقدسيتها، يقول: «**ولكننا ما استعملنا هذا الحق ، بل احتملنا كل شيء لئلا نضع عقبة في طريق البشارة بالمسيح**» (آ ١٢ب). لقد وضع بولس

أول أولوياته «البشارة بالمسيح»، وهو مستعد أن يضحي بأي حقوق إذا كان التمتع بها يسيء إلى هذه الأولوية. في الآيات ١٥-١٨، يوضح بولس أن «البشارة بالمسيح» هي ضرورة (دعوة ملحة) ووكالة تسلمها من الله؛ ليست عملا إراديا اختاره بنفسه حتى تترتب عليه أجرة. ويعتبره بولس فخرا (طبعا أمام الناس) أن يبشر بالمسيح دون أجر مادي، وهو لا يريد أن يطالب بنفقة مادية لئلا يعطل أحد فخره هذا. أجرته الحقيقية هي أن يبشر بالمسيح مجانا. في الآيات ١٩-٢٣ يصرح بولس بأنه، بكامل إرادته، تنازل عن حقوقه وحريته: «صرت للناس كلهم كل شيء لأخلص بعضهم بكل وسيلة» (آ ٢٢). في الآيات ٢٤-٢٧ يشبّه بولس عمل «الكرازة بالإنجيل» بمباريات رياضية، ويستنتج أنه، كما يضبط المتمرنون أنفسهم لجهة الطعام والشراب والتمارين، فيتبعون حمية دقيقة وصارمة، ويمارسون تمارين قاسية من أجل الحصول على «إكليل يفنى»، هكذا هو يضبط نفسه في كل شيء من أجل الحصول على «إكليل لا يفنى».

كيف كان بولس يغطي نفقات معيشته؟ كان يشتغل في صناعة الخيام، وقد عمل لفترة عند أكيلا وبريسكله اللذَين كانا يُمارسان نفس المهنة (أع ١٨:٣)، واستطاع بهذه الطريقة أن يغطي نفقاته وفريقه المرسلي. قال مرة لقسس كنائس أفسس: «ما اشتهيت يوما فضة أحد أو ذهبه أو ثيابه، وأنتم تعرفون أني بهاتين اليدين اشتغلت وحصلت على ما نحتاج إليه أنا ورفاقي» (أع ٢٠: ٣٣-٣٤). هذا لا يعني أن بولس لم يقبل أبدا تبرعات من الكنائس، لكنه امتنع عن طلب المساعدات، وخاصة من كنيسة كورنتس، للأسباب المحتملة المذكورة أعلاه. كان بولس قد كتب إلى نفس الكنيسة ما يلي: «ولا نزال إلى هذه الساعة نعاني الجوع والعطش والعري والضرب والتشرد، **ونتعب في العمل بأيدينا**» (١كو ٤: ١١-١٢). وكتب إليهم أيضا في الرسالة الثانية: «فهل أخطأت حين حملت إليكم مجانا بشارة الله، وأذللت نفسي لترتفعوا أنتم؟ حرمت كنائس أخرى وأخذت منها النفقة لخدمتكم، وما ثقلت على أحد منكم حين كانت بي حاجة وأنا بينكم، فالإخوة الذين جاؤوا من مكدونية سدوا حاجتي. وهكذا حرصت أن لا أثقل عليكم في شيء وسأحرص أيضا» (٢كو ١١: ٧-٩؛ رج في ٤: ١١-١٨).

٢. عندما لا يتلاقى الحق والواجب

نعم، للرسول حق النفقة على الكنيسة، لكن ماذا لو لم تتمكن جماعة المؤمنين من تأمين معيشة الرسول لسبب ما؟ ألخص فيما يلي القاعدة التي اتبعها بولس:

أ. واجب على الكنائس التي أسسها ويخدمها أن تساهم في نفقات خدمته المرسلية، وهذا أيضا حق له عليها.

ب. هو لا يخدم الكنائس بهذا الغرض، والأهم من النفقة عنده نفوس الناس الذين يخدمهم: «... لن أثقل عليكم، **فأنا أريدكم أنتم لا مالكم**» (٢كو ١٢: ١٤).

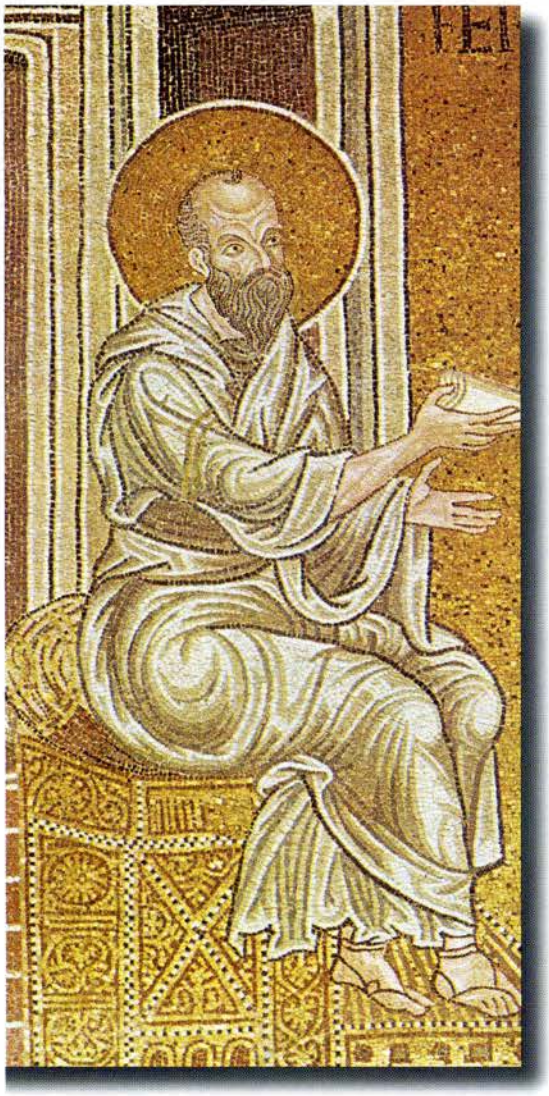

حياةُ بولس عطاءٌ متواصلٌ وسخيّ، حتّى الجود بالنفس

(مذبح فرعي في كاتدرائيّة مونريال، صقلّية، إيطاليا)

ج. هو مستعد أن يقبل تبرعات الكنائس بشكر وامتنان في حال أرسلت إليه.

د. هو مستعد أن يتنازل عن حقه بالنفقة تجاه الكنيسة وعن أي حق آخر في حال سبب هذا الحق عائقا لخدمته من أي نوع كان.

ه. في حال قصرت الكنائس بواجبها تجاهه لسبب ما، فهو مستعد أن يشتغل بيديه ليكفي حاجاته وحاجات فريقه المرسلي، كما أنه تعلم درس الجوع والحاجة في حال اقتضت الضرورة، والمهم عنده أن تستمر خدمته : «... لأني تعلمت أن أقنع بما أنا عليه. فأنا أعرف أن أعيش في الضيقة، كما أعرف أن أعيش في السعة، وفي جميع الظروف اختبرت الشبع والجوع، الفرج والضيق ، وأنا قادر على تحمل كل شيء بالذي يقويني» (في ٤: ١١-١٣).

و. يعتبر بولس الخدمة ضرورة موضوعة عليه بفعل دعوة الله، وليست وظيفة تحتم عليه القيام بعمل ما مقابل أجر محدد، وإن توقف الأجر يتوقف معه أيضا العمل.

٣. الخدمة المسيحية والتضحية بالحقوق

لا ننكر أن للخادم المسيحي حقوقا مادية على جماعة الكنيسة التي يخدمها، وعلى الجماعة واجبات نحوه أيضا، ونحن لسنا هنا بصدد بحث واجبات الكنيسة بقدر ما نركز على نظرة الخادم إلى هذه الحقوق. إن نظر الخادم إلى خدمته من زاوية الحقوق المادية يصيّر الخدمة وظيفة، وتنشأ حينئذ علاقة قياسية بين كمية العمل ومقدار الأجر، وهذا يسلب الخدمة الروحية روحانيتها وقدسيتها وسموها. غير أن طبيعة العلاقة بين الخادم والكنيسة ليست وظيفية، بل هي، قبل كل شيء، تلبية لدعوة الله، والخادم في خدمته يتمم الدعوة الإلهية. عمله ذات طابع إلهي، بالرغم من أنه يعمل ضمن نظام كنسي، وعليه أن يحترمه ويخضع له، فهو يعمل عند الله إذا صح التعبير. قال بولس عن نفسه وعن أبلوس: «فنحن شركاء في العمل مع الله...» (١كو ٣: ٩). ولأن هذه الدعوة على قدر كبير من القدسية، فبولس يعلن عن استعداده لينسى حسبه ونسبه وامتيازاته في سبيل تحقيقها: «... ولكن يهمني أمر واحد، وهو أن أنسى ما ورائي وأجاهد إلى الأمام، فأجري إلى الهدف، للفوز بالجائزة التي هي دعوة الله السماوية في المسيح يسوع» (في ٣: ١٣-١٤). هذه «الدعوة السماوية» هي طبعا دعوة إلى الحياة الأبدية، ودعوة إلى خدمة الله لخلاص البشر. ويعبر بولس عن نفس الفكرة لقسوس كنائس أفسس: «ولكنني لا أحسب أن حياتي لها أية قيمة عندي، ما دمت أقوم بمهمتي وأتمم العمل الذي تسلمته من الرب يسوع، فأنادي ببشارة نعمة الله» (أع ٢٠: ٢٤). إن من شروط تتميم الدعوة هو التخلي عن كل روح مادية حيال روحانية هذا العمل. أنا أفهم إنسانا عاديا طامحا إلى زيادة دخله، وزيادة الممتلكات ووسائل الراحة والتمتع بالحياة، ويضع هذا جل أهدافه، لكنني لا أستطيع أن أدرك أن خادما للمسيح، نذر نفسه لتحقيق دعوة الله العليا، يطمح إلى هذه الأمور عينها، فيطالب دائما «بأجر» لقاء قيامه بخدمات دعوته. من غير الطبيعي أن ينتظر خادم المسيح أن يجني من خدمته ما قد يجنيه من عمل آخر دنيوي، لأن مَن قَبل دعوة الله يكون قد قرر التضحية برفاهية الحياة، وترفع عن ماديتها إلى مجد روحانية خدمته، وعنده إيمان أن الله سيبقى أمينا، فيؤمّن له حاجات العيش المادية، بل ومستعد أن يقنع بالقليل ويقاسي الحاجة إذا كانت الحاجة المادية مدرسته الإلهية.

كخدام لله، قبلنا الخدمة كدعوة سماوية، أصبحت أهدافنا وطموحاتنا أيضا سماوية، على حد قول الرسول بولس: «فاسعوا إلى الأمور التي في السماء... اهتموا بالأمور التي في السماء، لا بالأمور التي في الأرض» (كو ٣: ١-٢). نعم، لنا حقوق شرعية كباقي الناس، لكن سمو الدعوة وثقلها علينا يجعلاننا نضحي بكل الحقوق ونتنازل عن كل الامتيازات «لئلا نجعل عائقا لإنجيل المسيح». قدرنا نحن خدام الكنائس الشرقية أن نعمل وسط جماعة غير مدركة واجباتها وغير مدربة على العطاء الذين يعتبرون الدين «بلاش». أنترك الخدمة إلى أعمال أخرى؟ أنطالب على حساب قدسية الرسالة؟ أنهاجر؟ كلا، بل نتنازل ونضحي ونتحمل و«نُنفِق ونُنفَق» في الخدمة متكلين على أمانة الذي دعانا لتأدية الشهادة المسيحية في هذا الشرق حيث لن تبقى وتقوم الرسالة المسيحية إلا بقوة الله وتضحيات المسيحيين الملتزمين، إبتداء من الخدام.

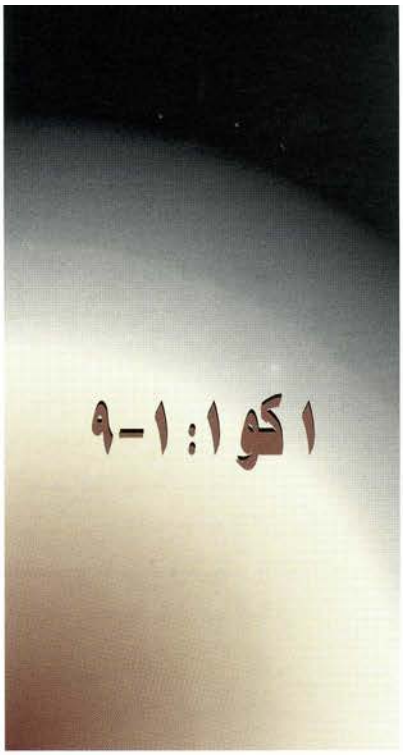

وجه بولس في كورنتس ١

الشماس جورج عنتابي

تتصدّر الرسالة الأولى إلى أهل كورنتس المركز الأوّل التاريخي لكتابات مار بولس. إذ توجّه بها، كما توجّه في رسائله المتتالية، إلى الجماعات التي كانت تجتمع لكسر الخبز، لحثّهم على الإيمان منطلقاً من الواقع الكنسي والحياتي للمؤمنين، مظهراً أثر الإيمان في الحياة اليوميّة والتصدّقات الشخصيّة.

وممّا ساعد القدّيس بولس على إتمام رسالته في كورنتس، اختباره الشخصي للمسيح، ومعرفته لسرّ الله الذي كشف له سرّ المسيح والمعنى العميق لموته وقيامته.

إنطلاقاً من رسالة القدّيس بولس في كورنتس واختباره الشخصي ليسوع المسيح نتوخّى التعرّف على وجه مار بولس في رسالته الأولى، بالإستدلال أو بالإستنتاج، مظهرين أنّه «بولس» (١:١) «الذي شاء الله أن يدعوه» (١:١) «رسولاً» (١:١؛ ٢:٩) «مبشّراً لا معمّداً» (١:١٧) و«خادماً» (٣: ٥-٦؛ ٤:١).

١- إسم بولس

الإسم هو الصيغة المستعملة عادةً للدلالة علي شخص معيّن. إذ انّ الإسم يرمز إلى مضمون الشخص وإلى انتمائه الديني والاجتماعي.

«بولس» هو الإسم الذي رغب كاتب الرسالة الأولى إلى أهل كورنتس أن يُعرف به في رسائله جميعها (روم ١:١؛ ١ كو ١: ١، ١٢، ١٣؛ ٢ كو ١:١؛ غل ١:١؛ أفس ١:١؛ فل ١:١). فإنّه لا يستعمل أبداً بعد ارتداده إسم «شاول» بالرغم من أنّه عُرف به مراراً بحسب ما جاء في أعمال الرسل.

هذه دلالة على تغيير شاول الكياني بعد ارتداده واختباره ليسوع المسيح.

ومن البديهي أنّ هذا التغيير تطلّب تحوّلاً جذريّاً في حياة شاول الشخصيّة، معبّراً عنه بالإسم «بولس» الذي حمله في رسائله المتعدّدة.

لذا أيقن بولس «الحياة الجديدة» التي يمنحها روح المسيح للذي يؤمن. فقد تحوّل من الشريعة إلى المسيح، من التبرير بأعمال الشريعة إلى الإيمان بالمسيح بفضل النعمة ومن محارب الكنيسة إلى رسول الأمم.

بهذا الإسم تميّزت إذاً شخصيّة بولس بالجذب والغنى، ومواهبه بالذكاء والنظرة الثاقبة، وتميّز طبعه بالحماس والغيرة.

٢- بولس المدعو

يحدّد القدّيس بولس فقط في مطلع رسالتَيه، الأولى إلى أهل كورنتس وإلى أهل رومة مصدر دعوته ورسالته.

فيذكر بالعبارة «الذي شاء الله أن يدعوه» (١:١) أنّ مصدر دعوته واحد وهو الله.

هذا التغيير نادر جدّاً في العهد الجديد. إذ أنّه يحمل في طيّاته دعوة إلى القداسة، لبولس ولجميع المسيحيّين.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ الله لم يختر شاول القويّ المثقّف بل بولس الضعيف ليكون رسول الأمم: «جئت وبي ضعف وخوف ورعدة» (٣:٢)، بغية التبشير لا بحكمة هذا العالم بل بالحكمة الجديدة. والسؤال الذي يُطرح هو: علامَ تقوم هذه الدعوة؟

تقوم أوّلاً على اختيار الله لبولس، فكلّ رسول هو مدعوّ لا بمشيئته الشخصيّة

وجه القدّيس بولس

بل بمشيئة الله فقط؛ وثانياً على اختيار الله المجاني. الله اختار شاول من حشا أمّه ليكون رسول الأمم: هو الذي اضطهد المسيحيّين أصبح «أداة» استعملها الربّ ليكون «مسؤولاً» عن اسم الربّ عند الوثنيّين والملوك وبني إسرائيل (أع ٩:١٥).

٣- بولس الرسول

الوجه الثالث للقدّيس بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنتس هو وجه «الرسول»: «من بولس الذي شاء الله أن يدعوه ليكون رسول المسيح يسوع» (١:١).

كلمة «رسول» في الكتاب المقدّس ظهرت واضحة في العهد الجديد مع يسوع المسيح الذي اختار رسلاً وأرسلهم ليبشّروا ويعمّدوا باسم الآب والابن والروح القدس.

فهذا التعبير، «رسول»، يحمل وجهَين، الأوّل دفاعي والثاني سلطوي. الوجه الدفاعي يدلّ على اختيار الرسول وتسليمه رسالة حيث يتحمّل مسؤوليّاتها ويدافع عنها «أمام الوثني والملوك وبني إسرائيل» (أع ٩:١٥).

فالرسول بولس يدافع في رسالته الأولى إلى أهل كورنتس عن مشكلة انتقال ثقافة العالم اليهودي الفلسطيني إلى ثقافة العالم الهليني، التي تسيّرها وتنظّمها قوى دافعة مختلفة جدّاً. لذا كان موقف الرسول الدفاعي من هذه المشكلة حازماً ومرناً على حدّ سواء، فشدّد تشديداً قويّاً على نبذ القديم، مستنكراً بلا هوادة كلّ تصرّف وتعليم لا يمكن التوفيق بينه وبين الرسالة التي يعلنها.

الوجه السلطوي يدلّ علي القوّة التي يحملها الرسول (١:٩) والتي تجعله يتكلّم بلسان مرسلِه، فيصبح آنذاك حامل كلمة المسيح يسوع.

فالرسول بولس رغم ضعفه (٣:٢) كان مزوّداً بسلطة تعليميّة للجماعات المسيحيّة وغير المسيحيّة، ناتجة لا عنه كمرسَل بل عن مرسِله الذي وهبه قوّة ونعمة الرسالة بغية دعوة الناس إلى التوبة والسير بحسب الإيمان المسيحي.

٤- بولس المبشّر

يركّز القدّيس بولس في رسائله، بالإستدلال أو بالإستنتاج، أنّ الرسول هو مدعوّ من الله وبالتالي، هو الذي اختبر الربّ.

وانطلاقاً من هذا المبدأ يكشف لنا القدّيس بولس عن أنّ الرسول هو بالدرجة الأولى خادم الإنجيل. فيذكر في رسالته الأولى إلى أهل كورنتس أنّه «عامل» للإنجيل.

طبقاً لذلك نستنتج أنّ وجه بولس «المبشّر» يرتكز على ركيزتَين أساسيّتَين:

الركيزة الأولى، وهي معرفته الشخصيّة ليسوع المسيح الذي اختبره على طريق الشّام. هو الذي كشف له عن حقيقته وسنح له معرفته ودعاه ليبشّر ويعمل بالإنجيل ناقلاً إيّاه إلى جميع الأمم. هذه المعرفة الشخصيّة هي أساس تبشير القدّيس بولس لأنّها كشفت له سرّ المسيح يسوع وغيّرت واقعه، فأصبح «أداة» استعملها الربّ لتبشير الأمم.

والركيزة الثانية، هي العمل الرسولي الذي يرتكز على يسوع المسيح. وهنا تظهر علاقة الاتّحاد بين بولس والمسيح صورة الله. وهذه الركيزة هي الحركة القويّة التي تجمع بين شخص يسوع المسيح وعمله في الحاضر، وحياة المسيحيّين في كنيسة كورنتس، ولا سيّما حياة الرسول.

لذا يكتب الرسول بولس في رسالته أنّ نعمة الله عليه «لم تذهب سدى، فقد جهدت أكثر منهم جميعاً، وما أنا جهدت بل نعمة الله هي معي» (١ كو ١٥:١٠).

٥- بولس الخادم

يضع بولس نفسه مقام الإرث اليهودي ويسمّي نفسه خادماً (٣:٥؛ ٤:١).

وفي هذه الصفة إعلان بولس لانتمائه الإيماني؛ فهو «خادم المسيح» (١ كو ٤:١) يسعى إلى هداية الأمم إلى الإيمان.

وهذا التعبير يحمل في طيّاته أوجه ثلاث:

الخادم هو الذي اختبر الله. ومن هنا يختلف الخادم عن العبد، لأنّ هذا الأخير يعمل مُجبَراً مشيئة سيّده لهدف

معيّن، من دون أن يختبره، فيكون عمله مسيّراً لا حياة فيه. أمّا الخادم فهو الذي يعمل بحريّة مشيئة سيّده لكن بعد اختباره الشخصي لسيّده وبعد كشف سرّ سيّده له. هذا ما جرى مع بولس الخادم منذ اختباره على طريق الشام وما بعد.

الخادم هو المتعلّق مباشرة بالله. عمله يتلاءم تحديداً مع الله، بعد تلقيه النعمة التي يخدم عبرها. فهكذا يقود الله شخصيّاً عمل الخادم بغية تحقيق مخطّط الله لجميع الأمم. فيصبح الخادم، كما يقول بولس، «أداة» بين يدي الرب.

الخادم هو المتعلّق أيضاً بمهمّة. فالخدمة هي شكل محدّد لمهمّة معيّنة. والخادم هو بالتالي مقترن بمهمّة يسعى إلى تحقيقها حاملاً مسؤوليّتها بجميع ما فيها من تعب وثقل وعذاب. إذاً الخادم هو على مثال سيّده، الخادم الأوّل يسوع المسيح، مدعوّ لحمل الصليب بغية الوصول إلى القيامة والخلاص.

خاتمة

بعدما تأمّلنا بوجه القدّيس بولس عبر رسالته الأولى إلى أهل كورنتس، لا بدّ لنا من أن نحمل مسؤوليّتنا بعد ألفي سنة، نحن الذين اختبرنا المسيح، فنعي أنّ انتماءنا المسيحيّ مقترن بدعوة أساسيّة، هي حمل الإنجيل مجدّداً ونقله إلى جميع الأمم كرسل الألف الثالث وكخدّام ليسوع المسيح، مبشّرين به في واقعنا الحالي، بهدف الوصول إلى المبدأ والأساس، إلى الله مصدر كلّ قداسة.

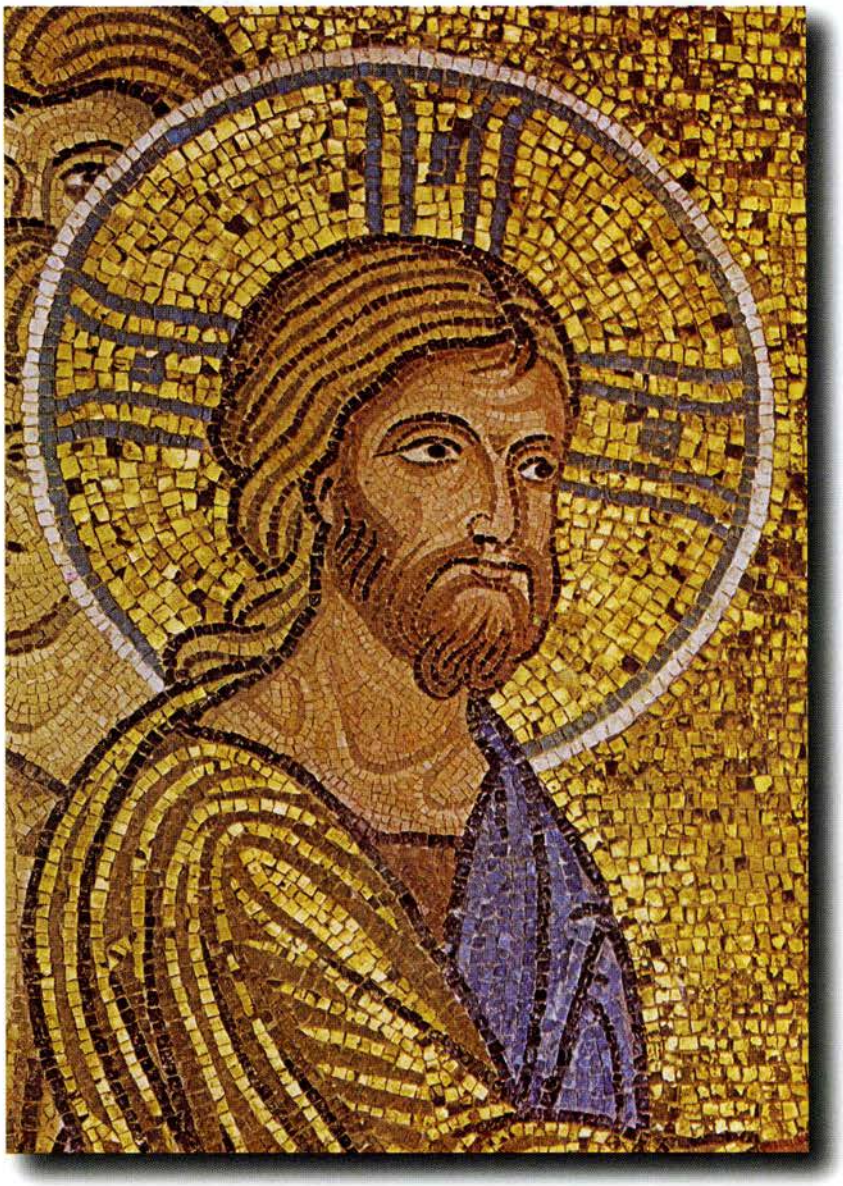

وجه المسيح. تفصيل من شفاء الممسوس الأبكم في كفرناحوم
(كاتدرائيّة مونريال، صقلّية، إيطاليا)

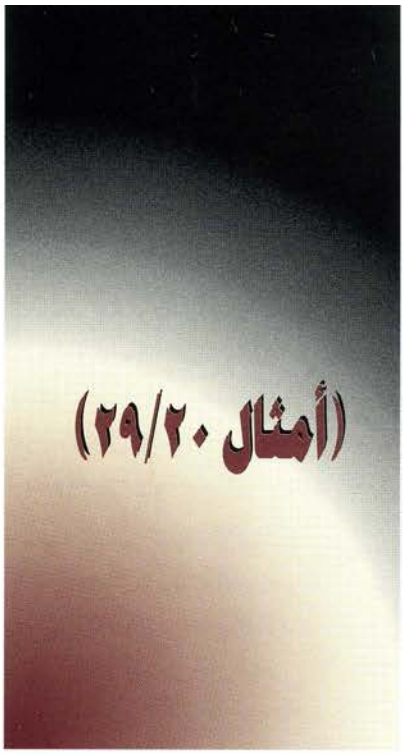

«المشيب زهو المسنّين»

المطران بطرس مراياتي

أعلنت منظّمة الأمم المتّحدة العام ١٩٩٩ عاماً خاصّاً بالمسنّين، لتشدّ انتباه المجتمع إلى وضع الذين، بسبب ثقل السنين، أضحوا ملزمين بأن يواجهوا، في ما تبقّى من حياتهم، مشكلات كثيرة وشاقّة. ومن هنا أُطلق الشعار: «**مجتمعٌ لكلّ الأعمار**»، تأكيداً لكرامة المسنّين في عالم يُهمل حضورهم.

ولهذه المناسبة وجّه قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني رسالة إلى المسنّين بيّن فيها مكانتهم الفريدة في المجتمع والكنيسة والعائلة، واضعاً نفسه في عداد المسنّين الذين دخلوا خريف الحياة.

حقّاً، لقد دافعت الكنيسة دوماً عن حقوق المسنّين، ودعت الأولاد إلى احترام أهاليهم وبخاصّة العجائز منهم كما جاء في الكتاب المقدّس:

- «**أكرم أباك وأمّك، لكي تطول أيّامك**» (خروج ٢٠/١٢).
- «**يا بنيّ، أعنْ أباك في شيخوخته ولا تحزنه في حياته**» (ابن سيراخ ٣/١٢).
- «**اسمعْ لأبيك الذي ولدك، ولا تستهنْ بأمّك إذا طعنت في السنّ**» (أمثال ٢٣/٢٢).
- «**من أساء معاملة أبيه وطرد أمّه فهو ابن الخزي والعار**» (أمثال ١٩/٢٦).

وقد أنشأت الكنيسة دُور العجائز لإيواء المسنّين الذين أصبحوا بلا معيل. وظهرت رهبانيّات عديدة في تاريخ الكنيسة كرّست أعضاءها لخدمة العجائز والمقعدين.

لا شكّ في أنّ حضور الأشخاص المسنّين في الأسرة بركة من الله.

فكم من خدمات منزليّة يقومون بها لصالح الأولاد والأحفاد!

وكم من نصائح يسدونها إلى جيل هو في حاجة شديدة إلى حكمة الكبار وخبرة من خاض من قبلهم معترك الحياة!

وكم من دروس يفيدون بها الأطفال بمَثَلهم الصالح وتقواهم ومهاراتهم وفنّهم!

لستُ أنسى أيّام طفولتي حين كان جدّي المسنّ يقودني من يدي لأشارك في صلوات أخويّة «القربان المقدّس». ربّما كان يقودني إلى مذبح الربّ دون أن يدري.

ولا أزال أرى حتّى اليوم سيّدات مسنّات وقورات يأتينَ بأحفادهنّ إلى الكنيسة ليضيئوا شمعة أو ليضعوا طاقة زهور قبالة الأيقونة أو ليكرّسوا ثوباً للعذراء مريم.

وشدّ انتباهي مَثَلُ جدّة أعطت حفيدها قطعة من النقود ليتعلّم كيف يضعها في صينيّة التبرّعات.

وماذا لو تذكّر كلّ واحد منّا ما أخذه عن جدّه أو جدّته من قصص دينيّة وصلوات طقسيّة وأمثال حكميّة وقصائد تعليميّة وتوجيهات أخلاقيّة.

وماذا لو أحصينا ما تعلّمناه من رجال مسنّين أهدوا إلينا عصارة خبرتهم، فكانوا لنا نبراساً وهَدْياً على دروب الحياة.

- «**قفْ بين المسنّين، وإن كان هناك حكيم فلازمه**» (ابن سيراخ ٦/٣٤).

أليسَ المسنّ ذاكرة التاريخ الحيّة بالنسبة إلينا جميعاً، فكيف نستطيع اكتشاف ماضينا وجذورنا لولا شهادة الكبار الذين هم جسر يربط الماضي بالحاضر؟! فلنحافظْ عليهم في إناء ثمين يحوي تراث السنين لأنّ من ليس له ماضٍ ليس له مستقبل.

- **«حتّى في شيخوختي وفي شيبتي، يا الله، لا تتركني فأخبر الأجيال الآتية بعجائبك»** (مزمور ٧١/١٨).

فهذا دَيْن علينا أن نجلّ حضور المسنّين في بيوتنا وكنائسنا وجمعيّاتنا وأخويّاتنا لما يقدمونه من خدمات جلّى يأبى عنها الشباب أحياناً.

- **«قمْ قدّام الأشيب، وكرّمْ وجه الشيخ، واتّقِ إلهك»** (الأحبار ١٩/٣٢).

أمّا الدَيْن الآخر فهو أن نزور العجائز والمسنّين، فهم في حاجة إلى ابتسامة ومصافحة وتبادل أطراف الحديث، لأنّ ما نزرعه من إجلال ومحبّة وعطف نحوهم، نحصده يوماً احتراماً وتقديراً وحناناً عندما نصل بدَورنا إلى سنّهم.

- **البارّ كالنخل يسمو، ومثل أرز لبنان ينمو، وفي المشيب يثمر ويحافظ على نضارته ليخبر بأنّ الربّ مستقيم»** (مزمور ٩٢/١٣).

ما أصدق قول الحكيم يشوع بن سيراخ في مرحلة الشيخوخة:

- **«إن لم تدّخر في شبابك**
فكيف تجد في شيخوختك؟
ما أجمل القضاء للشيب
وحسن المشورة للشيوخ!
ما أجمل الحكمة للشيوخ
والرأي والمشورة لأرباب المجد!
كثرة الخبرة إكليل الشيوخ
ومخافة الربّ فخرهم» (ابن سيراخ ٢٥/٣-٦).

«لا تهنْ أحداً في شيخوخته، فإنّ أناساً منّا أيضاً يشيخون. لا تشمتْ بموتِ أحدٍ، واذكرْ أنّنا نموت جميعاً» (ابن سيراخ ٨/٦).

«لا تحِدْ عن كلام الشيخ، فهم أيضاً تعلّموا من آبائهم ومنهم تتعلّم الفطنة، وأن تردّ الجواب في الوقت الملائم» (ابن سيراخ ٨/٩).

لقد ذكرتْ أسفار العهد الجديد، ولا سيّما الإنجيل، وجوهاً نيّرة من المسنّين، وأشهرهم زكريّا وأليصابات والدا يوحنّا المعمدان. وقد وصفهما الإنجيل بأنّهما كانا «صدّيقَين» . وتحدّث عن سمعان الشيخ، الرجل **«الصدّيق التقيّ»** الذي وعده الروح القدس بأن يرى المسيح قبل أن يموت. وكذلك حنّة النبيّة، الأرملة العجوز الفاضلة، أخذت **«تحدّث بأمر المسيح كلّ من كان ينتظر افتداء أورشليم»** (لو ٢/٣٨).

وذكر الإنجيل نيقوديمس العضوَ الشريف في المجلس الأعلى. وكان متقدّماً في السنّ. فلمّا جاء إلى يسوع ليلاً، أطلعه على سرّ الخلاص بالمعموديّة. وأظهر نيقوديمس، بكلّ شجاعة، أنّه تلميذ يسوع المصلوب، فاشترى كتّاناً وطيباً وكفّن جسد يسوع ووضعه في القبر بمؤازرة يوسف الرامي.

وينتهي إنجيل يوحنّا بلقاء يُنبئ فيه يسوع المسيح بموت بطرس شهيداً في سنّ الشيخوخة تمجيداً لله.

إنّ الشيخوخة هي خريف الحياة. فكما أنّ فصول السنة تتابع في كلّ مكان على الأرض، فيأتي الخريف بعد الصيف الزاهر. هكذا تأتي الشيخوخة بعد ازدهار الشباب.

أمّا القدّيس أفرام السرياني فيشبّه الشيخوخة بإحدى أصابع اليد فيقول: «الحياة كأصابع اليد. فالأصابع الخمس تمثّل المراحل الخمس التي يمرّ بها الإنسان من مولده حتّى مماته. كما أنّ الحياة قصيرة وليست أكبر من شبر اليد».

ولمّا كانت الحياة الإنسانيّة عبوراً إلى حياة أخرى، تمتدّ الشيخوخة معبراً يصل حياة الأرض بحياة الأبديّة، وينقل الإنسان المسنّ من الفرح الأرضي المؤقّت إلى الفرح السماوي الدائم الذي أعدّه الله لخدّامه الأمناء (متّى ٢٥/٢١).

عند غروب الحياة، هنيئاً لامرئٍ يرفع صلاةً يوميّة قائلاً: «في ساعة موتي، ادعني يا ربّ، ومُرني بأن آتي إليك».

إنّها صلاة الرجاء المسيحي التي لا تنزع شيئاً من فرح الساعة الحاضرة، ولكنّها تسلّم شؤون الغد إلى رحمة الله.

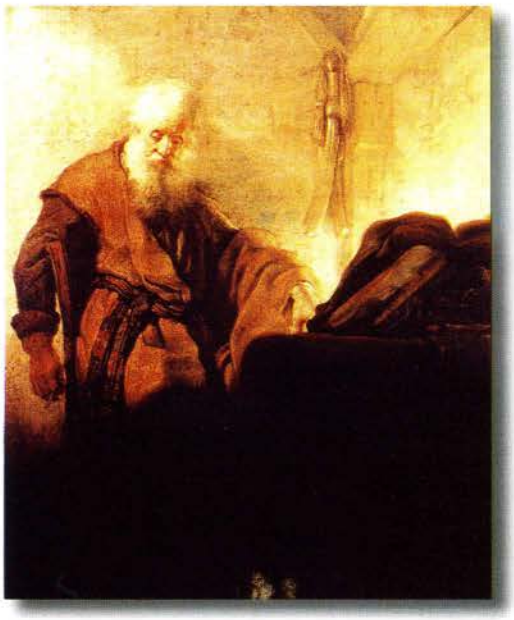

«لقد حَضَرَ وقتُ انحلالي... وأَتْمَمْتُ سَعْيي... وحُفِظَ لي إكليل البِرّ» (٢ تي ٤: ٦-٧)

بهذه الكلمات الوجيزة اختصرَ بولس الشيخ ما أنجز وما يرجو.